الباب الثاني في ذ ر حقيقة مرض القلب

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾(١) [سورة البقرة:١٠]، وقال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [سورة الحج:٥٣]، وقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾(٢) [سورة الأحزاب:٣٢] أمرهن أن لا يَلِنَّ في كلامهن(٣) -كما تلين المرأة المعطية(٤) الليان في منطقها- فيطمع من في قلبه مرض الشهوة(٥)، ومع ذلك فلا يُخشّن في القول بحيث يلتحق(١) بالفحش، بل يقلن قولاً معروفاً،

---

(١) الآية في (ع): [﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية].

(٢) الآية في (ش) هكذا: [﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾].

(٣) في (ش): [كلامهم]، وهذا المعنى قال به الفراء في معاني القرآن (٣٤٢/٢)، وابن قتيبة في غريب القرآن (٣٥٠)، والطبري في تفسيره (٢/٢٢)، والنحاس في معاني القرآن (٣٤٥/٥)، والسمرقندي في تفسيره (٥٥/٣)، والجصاص في أحكام القرآن (٢٢٩/٥)، والسمعاني في تفسيره (٢٧٩/٤)، والبغوي في تفسيره (٣٤٨/٦)، وابن العربي في أحكام القرآن (٥٦٨/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٩/٦)، والخازن في لباب التأويل (٢٥٧/٥)، وابن جزي في التسهيل (١٣٧/٣)، وروي في الآية أقوال أخرى بينها الماوردي في تفسيره (٢٧٨/٤-٢٧٩) فقال: "فيه ستة أوجه: أحدها: معناه فلا ترققن بالقول، الثاني: فلا ترخصن بالقول، قاله ابن عباس، الثالث: فلا تُلِن القول، قاله الفراء، الرابع: لا تتكلمن بالرفث، قاله الحسن، قال متمم: (ولستُ إذا ما أحدث الدهر نوبة***عليه بزوّار القرائب أخضعا)، الخامس: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب، السادس: هو ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال ، قاله ابن زيد".

(٤) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [المطيعة].

(٥) هذا أحد القولين في معنى الآية وهو أن المراد بالمرض مرض شهوة الزنا والفجور، وقال به ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء بن يسار كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٦)، وعكرمة كما رواه الطبري في تفسيره (٣/٢٢)، واختاره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٤٥/٣)، والفراء في معاني القرآن (٣٤٢/٢)، وابن قتيبة في غريب القرآن (٣٥٠)، والسمرقندي في تفسيره (٥٥/٣) وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٣٢/١٠)، وابن القيم في مفتاح دار السعادة (١١١/١)، وزاد المعاد (٦/٤)، **والقول الآخر** أن المراد بالمرض: النفاق، وقال به قتادة كما رواه الطبري في تفسيره (٣/٢٢)، وقول السدي كما ذكر الماوردي في تفسيره (٥٥/٤)، وقال به النحاس في معاني القرآن (٣٤٥/٥)، والواحدي في الوجيز (٨٦٤/٢)، وأيدوه بما نقله ابن أبي زمنين

وقال الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم /(٢)مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾(٣) [سورة الأحزاب:٦٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾(٤) [سورة المدثر:٣١] أخبر الله سبحانه عن الحكمة التي جعل لأجلها عدة الملائكة الموكلين بالنار تسعة عشر، فذكر سبحانه خمس حِكَمٍ: فتنة الكافرين؛ فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم، وقوة يقين أهل الكتاب، فيقوى يقينهم(٥) بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن أنبيائهم(٦) من غير تلقٍ من رسول الله عنهم، فتقوم الحجة على معاندهم، وينقاد للإيمان من

في تفسيره (٣٩٧/٣) عن الحسن قوله: "وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي عليه السلام المنافقون"، ولعل هذا القول فيه نظر، لقصة ماعز والغامدية، وكذا قصة الإفك، وغيرهما، وقال ابن جزي في التسهيل (١٣٧/٣)-عن تفسيره بالنفاق- :"وهذا بعيد في هذا الموضع"، وجمع الطبري بين القولين (٣/٢٢) فقال:" يقول فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه إما شاك في الإسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله وإما متهاون بإتيان الفواحش".

(١) في (ع): [يلحقن]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [يلتحق] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٢) (٧/أ)

(٣) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾]، وفي (ع) زيادة: [﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾].

(٤) الآية في (ش) هكذا: [﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾].

(٥) في (ش): [فتقوى نفسهم].

(٦) في (ش): [إيمانهم]، وروى الطبري في تفسيره (١٦١/٢٩) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "وإنها في التوراة والإنجيل تسعة عشرة، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً"، وروى عن مجاهد قال: "يجدونه مكتوباً عندهم عدة خزنة أهل النار"، وروى عن الضحاك قال: "عدة خزنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل"، وروى عن قتادة قال: "يصدق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر"، وروى الصنعاني في تفسيره (٣٢٩/٣) والطبري عن قتادة قال: "ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدة خزنة النار ما في كتبهم"، ، وفي معنى الآية قول آخر رواه الطبري عن ابن زيد قال: "ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أنك رسول الله"، واختار الطبري الأول، وقد روى الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن

يرد الله أن يهديه، وزيادة إيمان الذين آمنوا بكمال[١] تصديقهم بذلك[٢] والإقرار به، وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لإكمال[٣] تصديقهم[٤] به، فهذه [أربع][٥] حكم: فتنة الكفار[٦]، ويقين أهل الكتاب، وزيادة إيمان المؤمنين، وانتفاء الريب عن المؤمنين وأهل الكتاب.

[و][٧] الخامسة[٨]: حيرة الكافر ومن في قلبه مرض وعمى قلبه عن المراد بذلك، فيقول: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، وهذه حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلبٌ يفتتن به كفراً وجحوداً، وقلبٌ يزداد به إيماناً وتصديقاً، وقلبٌ يتيقنه فتقوم عليه الحجة به، وقلبٌ يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يُراد به.

واليقين وعدم الريب في هذا الموضع إن رَجَعا إلى شيء واحد كان ذكر عدم الريب

رسول الله ﷺ باب ومن سورة المدثر ح(٣٣٢٧) عن جابر ﷺ قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ ((هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غُلب أصحابك اليوم، قال: وبم غلبوا؟ قال: سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال: فما قالوا؟ قال: قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: أُيغلب قوم سُئلوا عما لا يعلمون؟ فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا، لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، عليَّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: هكذا وهكذا في مرة: عشرة، وفي مرة: تسع، قالوا: نعم)) قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد، وصححه ابن العربي في عارضة الأحوذي (١٢/٢٢٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(٣٣٤٨)، وهو يشهد لكون هذا معلوماً عندهم من كتبهم.

(١) في (ش): [كمال].

(٢) في (ش): [به].

(٣) في (ع): [لكمال].

(٤) سقط قوله: [والإقرار به، وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لإكمال تصديقهم به] من (ش).

(٥) في الأصل و(ش): [أربعة]، والصواب ما أثبته من (ع)، لأنّ العدد لا بد أن يخالف المعدود.

(٦) في (ش): [للكفار].

(٧) سقطت من الأصل و(ش)، وأثبتها من (ع).

(٨) في (ش): [الخامس].

مقرراً لليقين ومؤكداً له ونافياً عنه ما يُضاده بوجه من الوجوه[١]، وإن رَجَعا إلى شيئين بأن يكون اليقين راجعاً إلى الخبر المذكور عن هذه[٢] الملائكة، وعدم الريب عائداً[٣] إلى عموم ما أخبر الرسول به؛ لدلالة هذا الخبر الذي لا يُعلم إلا من جهة الرسل على صدقه، فلا يرتاب من قد عرف صحة هذا الخبر بعد في صدق الرسول ﷺ ظهرت فائدة ذكره.

والمقصود: ذكر مرض القلب/[٤] وحقيقته، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧] فهو شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغي، فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغي مرض شفاؤه الرشد، وقد نزه الله سبحانه عن هذين الداءين نبيه[٥] فقال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [سورة النجم:١-٢] ووصف رسوله[٦] ﷺ خلفاءه بضدهما[٧] فقال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين[١] من بعدي))[٢]، وجعل

---

(١) اختاره الزمخشري في الكشاف (٦٥٣/٤) فقال: "لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ، لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضاً بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر"، والرازي في التفسير الكبير (٦٥٣/٣٠) فقال: " فالمقصود من إعادة هذا الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقيبه ألبتة شك ولا ريب"، وكذا أبو حيان في البحر المحيط (٣٦٨/٨)، ومال إلى هذا المؤلف في بدائع الفوائد (٩١٣/٤) فقال: "الريب ضد الطمأنينة واليقين، فهو قلق واضطراب وانزعاج، كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار"، واختاره الشوكاني في فتح القدير (٣٣٠/٥) فقال: "﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ مقررةٌ لما تقدم من الاستيقان وازدياد الإيمان".

(٢) في النسختين: [عدة].

(٣) في (ش): [عنه أبداً].

(٤) (٧/ب).

(٥) في (ش): [نبيه ﷺ عن هذين الداءين] بالتقديم والتأخير، وفي (ع): [نبيه عن هذين الداءين].

(٦) سقط قوله: [رسوله] من (ش).

(٧) قال ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن (١٥٤): "ونفى سبحانه عن رسوله الضلال المنافي للهدى، والغي المنافي للرشاد، ففي ضمن النفي الشهادة له بأنه على الهدى والرشاد، فالهدى في علمه، والرشاد في عمله، وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد، وبهما سعادته وفلاحه، وبهما وصف النبي خلفاءه فقال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) فالراشد ضد الغاوي، والمهدي ضد الضال، وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو صاحب الهدى ودين الحق، ولا يشتبه الراشد المهدي بالضال

كلامه سبحانه[٣] موعظة للناس عامة وهدى ورحمة لمن آمن به خاصة[٤]، وشفاء تاما لما في الصدور، فمن استشفى به صح وبرىء من مرضه، ومن لم يستشف به فهو كما قيل[٥]:

إذا [بلّ][٦] من [داء به][٧] ظن أنه[٨] نجا وبه الداء الذي هو قاتله

الغاوي إلا على أجهل خلق الله وأعماهم قلباً وأبعدهم من حقيقة الإنسانية".

(١) سقط قوله: [المهديين] من (ش).

(٢) أخرجه من حديث العرباض بن سارية ﷺ -بدون لفظ (من بعدي)- أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ح(٤٦٠٧)، الترمذي في كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح(٢٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح(٤٢) (٤٣)، والإمام أحمد في المسند ح(١٧١٨٢) (١٧١٨٤) (١٧١٨٥)، والدارمي في سننه باب إتباع السنة ح(٩٥)، والحربي في غريب الحديث (١١٧٤/٣)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة ح(٥٩)، والمروزي في السنة ح(٧٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٨٠/١)، وابن حبان في صحيحه ح(٥)، والآجري في الشريعة ح(٨٨)، والطبراني في الكبير ح(٦٢٣)، والحاكم في المستدرك ح(٣٢٩)، وغيرهم، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح ليس له علة"، وقال أبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم (٣٦/١): "هذا حديث جيد من صحيح حديث الشاميين"، وحسنه البغوي في شرح السنة (٢٠٥/١)، وصححه شيخ الإسلام في الفتاوى (١٩/٣٥)، وابن الملقن في البدر المنير (٥٨٢/٩)، والشيخ محمد بن عبدالوهاب في الرسائل الشخصية (١٧٩)، والشوكاني في القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (٢٨)، والألباني في الصحيحة ح (٩٣٧) و(٢٧٣٥)، وأما لفظة (من بعدي) فقد أخرجه بها المروزي في السنة ح(٦٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢٣/٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ح(٥٥٥٤)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ح(٥١)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢١).

(٣) في (ع): [فجعل سبحانه كلامه].

(٤) سقط قوله: [خاصة] من (ش).

(٥) البيت من الطويل، ورد بلا نسبة في عدد من المصادر، قال الثعالبي في يتيمة الدهر (١٦٧/١): "وهو من الأمثال السائرة"، وجاء في أكثر روايات البيت (إذا بلّ من داء به ظن أنه)، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة (٧٥/١)-بعد ذكره للبيت- "يروى: برا ونجا جميعاً، ويروى: إذا بل من داء به خال أنه"، وفي أخبار مكة للفاكهي (٦٤/٢): (من داء يخال بأنه)، قال الخليل في كتاب العين (٨/ ٣١٩): "بلّ فلان من مرضه وأبل واستبل أي: برأ"، وقال الجوهري في الصحاح (١٦٤٠/٤): "(وبه الداء الذي هو قاتله) يعني الهرم"، وانظر: إصلاح المنطق (١٩٠) لابن السكيت، ومعجم مقاييس اللغة (١٨٩/١) لابن فارس.

(٦) في الأصل: [برء]، في (ش): [بار]، وفي (ع): [قل]، والصواب ما أثبته من مصادره.

(٧) في الأصل و(ع): [دائه]، والصواب ما أثبته من (ش) ومن مصادره.

(٨) في (ع): [أن]، وفي (ش): [إياه].

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(١) [سورة الإسراء:٨٢] والأظهر(٢) أن (مِنْ) ههنا لبيان الجنس، فالقرآن جميعه شفاء ورحمة للمؤمنين(٣).

ف

ولما كان مرض البدن خلاف صحته وصلاحه، وهو خروجه عن اعتداله الطبيعي لفساد يعرض له يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية، فإما أن يذهب إدراكه بالكلية كالعمى والصمم والشلل، وإما أن ينقص إدراكه لضعف في آلات الإدراك مع استقامة إدراكه، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه كما يدرك الحلو مراً والخبيث طيباً والطيب خبيثاً.

وأما فساد حركته الطبيعية فمثل أن تضعف(٤) قوته الهاضمة أو الماسكة أو الدافعة أو الجاذبة، فيحصل له من الألم بحسب خروجه عن الاعتدال، ولكن مع ذلك لم يصل إلى حد الموت والهلاك، بل فيه نوع قوة على(٥) الإدراك والحركة.

وسبب هذا الخروج عن الاعتدال: إما فساد في الكمية، أو في الكيفية.

---

(١) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾].

(٢) في (ع): [والظاهر]، وفي حاشية (ع) كُتبت كلمة: [والأظهر] وكُتب فوقها: وهي الأصل.

(٣) وهذا اختيار النحاس في معاني القرآن (١٨٧/٤)، والواحدي في الوجيز (٦٤٥/٢)، والسمعاني في تفسيره (٢٧١/٣)، والبغوي (١٢٣/٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧٩/٥)، وهو ما قرره ابن القيم في الجواب الكافي (٢)، وزاد المعاد (١٧٧/٤، ٣٥٢)، وغيرهم، **والقول الثاني**: أن (مِنْ) هنا للتبعيض، وذكره ابن عطية، وقال في المحرر الوجيز (٤٨٠/٣): "وأنكر بعض المتأولين أن يكون (مِنْ) للتبعيض؛ لأنه تحفظ من يلزمه أن بعضه لا شفاء فيه، قال القاضي أبو محمد: وليس يلزمه هذا، بل يصح أن يكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مُبعض، فكأنه قال: ﴿وننزل من القرآن﴾ شيئاً شفاء ما فيه كله ﴿شفاء﴾"، وذكره العكبري في التبيان (٨٣٠/٢)، وابن جزي في التسهيل (١٧٧/٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧٢/٦)، والشوكاني في فتح القدير (٢٥٣/٣)، والألوسي في روح المعاني (١٤٥/١٥).

(٤) في (ش): [يضعف].

(٥) في (ش): [عن].

فـــالأول: إما نقص(١) المادة فيحتاج إلى زيادتها، و(٢) إما زيادة فيها(٣) فيحتاج إلى نقصانها.

والثاني: إما بزيادة الحرارة أو البرودة/(٤) أو الرطوبة أو اليبوسة، أو نقصانها عن القدر الطبيعي، فيُداوى(٥) بمقتضى ذلك.

ومدار الصحة على حفظ القوة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، ونظر الطبيب دائر على هذه الأصول الثلاثة، وقد تضمنها الكتاب العزيز، وأرشد إليها من أنزله شفاء ورحمة(٦).

فأما حفظ القوة(٧): فإنه(٨) سبحانه أمر المسافر والمريض أن يفطرا في رمضان، ويقضي المسافر إذا قدم، والمريض إذا برىء(٩)، حفظاً لقوتهما عليهما، فإن الصوم يزيد المريض ضعفاً، والمسافر محتاج(١٠) إلى توفير قوته عليه لمشقة السفر، فالصوم(١١) يضعفها.

وأما الحمية عن المؤذي: فإنه سبحانه حمى المريض عن استعمال الماء البارد في الوضوء والغسل إذا كان يضره، وأمره بالعدول إلى التيمم(١٢) حمية له عن ورود المؤذي عليه من

---

(١) في (ع) زيادة: [في].

(٢) سقط قوله: [إما نقص المادة فيحتاج إلى زيادتها و] من (ش).

(٣) في (ش): [بزيادة في المادة].

(٤) (٨/أ).

(٥) في (ش): [فتداوى].

(٦) انظر: زاد المعاد (١/١٦٤-١٦٥) (٤/٦-٧) والجواب الكافي (٧٥)، .

(٧) سقط قوله: [الثلاثة، وقد تضمنها الكتاب العزيز، وأرشد إليها من أنزله شفاء ورحمة، فأما حفظ القوة] من (ش).

(٨) في (ش): [فإن الله].

(٩) قـــال تعـــالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[سورة البقرة:١٨٥].

(١٠) في النسختين: [يحتاج].

(١١) في (ش): [فإن الصوم].

(١٢) قـــال تعـــالى ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة النساء:٤٣] وقال سبحانه ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

ظاهر بدنه، فكيف بالمؤذي له في باطنه؟.

وأما استفراغ المادة الفاسدة: فإنه سبحانه أباح للمحرم الذي به أذى من رأسه أن يحلقه (١) فيستفرغ الحَلْقُ الأبخرةَ المؤذية له، وهذا من أسهل أنواع الاستفراغ وأخفها، فنبه به على ما هو أحوج إليه منه.

وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر بهذا فقال: والله لو سافرت إلى الغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً أو كما قال.

وإذا عرف هذا فالقلب محتاج(٢) إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية(٣) عن المؤذي الضار(٤) وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات(٥)،

[سورة النساء:٢٩]، وروى أبو داود في كتاب الطهارة باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ح (٣٣٤) عن عمرو بن العاص ﷺ قال ((احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبيﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب! فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول اللهﷺ ولم يقل شيئاً)) كما أخرجه الأمام أحمد في المسند ح (١٧٨٤٥)، وذكره البخاري تعليقاً، قال ابن حجر في الفتح (٤٥٤/١) : "إسناده قوي"، وصحح الألباني الحديث في صحيح سنن أبي داود ح(٣٣٤).

(١) قال تعالى﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، روى البخاري في كتاب الحج باب الإطعام في الفدية نصف صاع ح (١٧٢١) عن عبد الله بن معقل قال ((جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه فسألته عن الفدية؟ فقال: نزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة، حُملت إلى رسول اللهﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى، أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى تجد شاة؟ فقلت: لا، فقال: فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع)).

(٢) في (ع): [يحتاج].

(٣) في النسختين: [حميته].

(٤) في (ش): [الضار المؤذي] بالتقديم والتأخير.

(٥) قال ابن القيم في الفوائد (١٢٠) "فعل المأمورات من باب حفظ قوة الإيمان وبقائها، وترك المنهيات من باب الحمية عما يشوش قوة الإيمان ويخرجها عن الاعتدال، وحفظ القوة مقدم على الحمية، فإن القوة كلما قويت دفعت المواد الفاسدة، وإذا ضعفت غلبت المواد الفاسدة، فالحمية مراد لغيرها وهو حفظ القوة وزيادتها وبقاؤها، ولهذا كلما قويت قوة الإيمان دفعت المواد الرديئة ومنعت من غلبتها وكثرتها بحسب القوة وضعفها،

وإلى استفراغه من مادة فاسدة تعرض له وذلك بالتوبة النصوح واستغفار غافر[١] الخطيئات، ومرضه هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره للحق وإرادته له[٢]، فلا يرى الحق حقاً، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له وتفسد[٣] به إرادته له، فيبغض الحق النافع أو يحب الباطل الضار أو يجتمعان له وهو الغالب، ولهذا يفسر المرض الذي يعرض له تارة بالشك والريب كما قال مجاهد[٤] وقتادة[٥] في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [سورة البقرة:١٠] أي: شك[٦]، وتارة بشهوة الزنا[٧] كما فُسر به قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب:٣٢] فالأول: مرض الشبهة،/[٨] والثاني: مرض الشهوة.

وإذا ضعفت غلبت المواد الفاسدة".

(١) في (ع): [غفار].

(٢) سقط قوله: [له] من (ع).

(٣) في (ش): [أو يفسد].

(٤) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن جمع من الصحابة، ولازم ابن عباس وعرض عليه القرآن ثلاثين مرة، وروى عنه قتادة والحكم بن عتيبة وغيرهما، توفى سنة (١٠٣)هـ بمكة وهو ساجد، وله (٨٣) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٤٦٦/٥)، والأسامي والكنى (١٢١) للإمام أحمد، والتاريخ الكبير (٤١١/٧)].

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب، ولد ضريراً، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، وروى عنه مسعر، وابن أبي عروبة، وشعبة، ومعمر، وحماد بن سلمة، اتهم بالقول بالقدر، وكان يكتمه، ولعله تاب منه كما ذكر الذهبي، توفي بواسط (١١٧هـ)، وله (٥٦)سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٢٢٩/٧)، والتاريخ الكبير (١٨٥/٧)، ومعرفة الثقات (٢١٥/٢) للعجلي، وسير أعلام النبلاء (٤١٤/٦)].

(٦) قول قتادة أخرجه الطبري (١٢١/١) في تفسيره، وهو قول ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ كما رواه الطبري (١٢١/١)، قال ابن أبي حاتم (٤٣/١): "وكذا روي عن مجاهد، والحسن، وعكرمة، والربيع بن أنس، والسدي، وقتادة"، ورواه الطبري (١٢٢/١) عن عبدالرحمن بن زيد، وابن أبي حاتم (٤٤/١) عن أبي العالية، هذا ما وقفت عليه من أقوال السلف المسندة في معنى المرض في هذا الموضع.

(٧) في (ش): [الرياء]، وهو تصحيف.

(٨) (٨/ب).

والصحة تحفظ بالمثل والشبه[١]، والمرض يدفع بالضد والخلاف، وهو يقوى بمثل سببه، ويزول بضده، والصحة تحفظ بمثل سببها، وتضعف أو تزول بضده، ولما كان البدن المريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح: من يسير الحر والبرد والحركة ونحو ذلك؛ كذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء: من الشبهة أو الشهوة حيث لا يقدر على [دفعهما][٢] إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك، وهو يدفعه بقوته[٣] وصحته[٤].

وبالجملة فإذا حصل[٥] للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه، وضعفت[٦] قوته، وترامى إلى التلف، ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوي قوته ويزيل مرضه[٧].

---

(١) في (ع): [وبالسبب]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [والشبه] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٢) في الأصل: [دفعها]، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة السياق قبلها وبعدها.

(٣) في (ش): [لقوته].

(٤) في (ع): [وبصحته].

(٥) في (ش): [جُعل].

(٦) في (ش): [وضعف].

(٧) في (ش) زيادة: [والله الموفق]، وقد نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الفصل من كتاب رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخه شيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٩٢-٩٤) مع زيادات وإعادة ترتيب.

الباب الثالث في انقسام أدوية أمراض القلب إلى قسمين[١]: طبيعية وشرعية

مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم[٢] كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات[٣]، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً ولكن لفساد القلب لا يُحِس بالألم، و[لأنّ][٤] سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضرٌ فيه حاصل له وهو مُتَوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهو[٥] أخطر المرضين[٦] وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض.

[والنوع الثاني][٧]: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، و[٨]المداواة بما يضاد تلك الأسباب ويدفع موجبها مع قيامها، وهذا[٩] كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشفى بما يشفى به البدن، وكذلك البدن يتألم كثيراً[١٠] بما يتألم به القلب، ويشفيه ما يشفيه.

فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه[١١] لا توجب وحدها شفاءه وعذابه بعد الموت، وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي توجب له [الشقاء][١٢] والعذاب الدائم إن لم يتداركها بأدويتها المضادة

---

(١) سقط قوله: [قسمين] من (ش).

(٢) سقط قوله: [وهو النوع المتقدم] من (ش).

(٣) سقط قوله: [ومرض الشهوات] من (ش).

(٤) في الأصل: [أن]، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة السياق قبله.

(٥) في النسختين: [وهذا].

(٦) في (ش): [الموضعين]، وذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/١١٠) أن أخطر أنواع هذا المرض وأقتلهما للقلب مرض الشبهات، فليراجع.

(٧) في الأصل: [والثاني النوع]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٨) في النسختين: [أو].

(٩) في (ش): [وهو].

(١٠) في (ع): [كثيراً يتألم] بالتقديم والتأخير.

(١١) في (ع): [وقد].

(١٢) في الأصل: [الشفاء]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

لها[١]/[٢]، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء، ولهذا يقال: شفى غيظه، فإذا[٣] استولى عليه عدوه آلمه ذلك، فإذا انتصف منه اشتفى قلبه[٤]، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة التوبة:١٤-١٥] فأمرهم بقتال عدوهم وأعلمهم أن فيه ست فوائد.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في[٥] شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضاً من حيث ظن أنه يشفيه، وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالمعشوق، فإن ذلك يزيد مرضه ويوجب له أمراضاً أُخَرَ أصعب من مرض العشق كما سيأتي إن شاء الله[٦]، وكذلك الغم والهم[٧] والحزن أمراض للقلب وشفاؤها بأضدادها: من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق؛ اشتفى القلب وصحَّ وبرىء من مرضه، وإن كان بباطل؛ توارى ذلك[٨] واستتر ولم يزل وأعقبه أمراضاً هي أصعب وأخطر.

وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضاً إلى مرضه، لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة التي هي شرط في صحته وَبُرْئِه، قال النبيﷺ في الذين أفتوا بالجهل فهلك المستفتي بفتواهم: ((قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذْ

---

(١) سقط قوله: [لها] من (ش).

(٢) (٩/أ).

(٣) في (ش): [وإذا].

(٤) انظر: البيان والتبيين (٢٦٩) للجاحظ، والصحاح (٢٣٩٤/٦) للجوهري.

(٥) في (ش): [وشفاؤه].

(٦) سقط قوله: [إن شاء الله] من (ش).

(٧) في النسختين: [الهم والغم] بالتقديم والتأخير، وكتب ناسخ الأصل فائدة فقال: "الغم يكون لأمر قد انقضى، والهم يكون لأمر كائن"، وقرر هذه الفائدة ابن القيم في عدة مواضع، فقال في الفوائد (٢٦): "والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم"، وانظر: زاد المعاد (٣٥٨/٢) (٢٠٨/٤)، وشفاء العليل (٢٧٤).

(٨) سقط قوله: [ذلك] من (ع).

لم يعلموا فإنما شفاء العي[١] السؤال))[٢] فجعل الجهل مرضاً؛ وشفاءه سؤال أهل[٣] العلم.

ولذلك[٤] الشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له[٥] العلم واليقين، ولما كان ذلك يوجب له حرارة قيل لمن حصل له اليقين؛ ثلج صدره، وحصل له برد اليقين، وكذلك يضيق بالجهل والضلال عن طريق رشده، وينشرح بالهدى والعلم، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا

---

(١) في (ش): [الغي]، وهو تصحيف.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس في كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم ح (٣٣٧)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها باب في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل ح(٥٧٢)، والدارمي في كتاب الطهارة باب المجروح تصيبه الجنابة ح(٧٥٢)، والإمام أحمد في المسند ح(٣٠٥٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٨٨/٨)، وأبو يعلى في المسند ح(٢٤٢٠)، وابن الجارود في المنتقى ح(١٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه ح(٢٧٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٢/٢)، وابن حبان في صحيحه ح(١٣١٤)، والطبراني في الكبير ح(١١٤٧٢)، والدارقطني في السنن (١٩٠/١-١٩١)، والحاكم في المستدرك ح(٥٨٥) (٦٣٠) (٦٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٣١٧/٣)، والبيهقي السنن الكبرى ح(١٠١٤) (١٠١٥)، كما أخرجه أبو داود من حديث جابر في كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم ح(٣٣٦) والدارقطني في السنن (١٨٩/١) والشهاب في المسند ح(١١٦٣) والبيهقي السنن الكبرى ح(١٠١٦) (١٠١٨)، قال الحاكم- عن حديث ابن عباس-: "هذا حديث صحيح"، وقال أبو نعيم: "هذا حديث غريب لا تحفظ هذه اللفظة من أحد من الصحابة إلا من حديث ابن عباس، ولا عنه إلا من رواية عطاء، حدث به الوليد بن مسلم والأعلام عن الأوزاعي"، وقال الدارقطني: "لم يروه عن عطاء عن جابر غير الزبير بن خُريق وليس بالقوي، وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن بن عباس، واختلف على الأوزاعي فقيل عنه عن عطاء، وقيل عنه بلغني عن عطاء، وأرسل الأوزاعي آخره عن عطاء عن النبيﷺ وهو الصواب، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عنه فقالا: رواه بن أبي العشرين عن الأوزاعي عن إسماعيل بن مسلم عن عطاء عن بن عباس وأسند الحديث"، وقال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٠٣/١): "وأصح ما روي فيه حديث عطاء بن رباح مع الاختلاف في إسناده ومتنه، والذي أخرجه أبو داود في كتاب السنن"، وقال الذهبي في تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق (٨٣/١): "والزبيرُ فيه ضعف"، وقال ابن الملقن في البدر المنير -عن حديث جابر- (٦١٥/٢): "إسناد كل رجاله ثقات"، وقال الألباني في الثمر المستطاب (٣٣/١): "وبالجملة فالحديث قوي ثابت بهذه المتابعات".

(٣) سقط قوله: [أهل] من (ع).

(٤) في النسختين: [وكذلك].

(٥) سقط قوله: [له] من (ش).

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(١) [سورة الأنعام:١٢٥] وسيأتي ذكر مرض ضيق الصدر وسببه وعلاجه إن شاء الله.

والمقصود: أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول/(٢) إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية، والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن(٣).

(١) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾].

(٢) (٩/ب).

(٣) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [مما في البدن]، وفي (ش) زيادة: [وبالله التوفيق].

الباب الرابع في أن حياة القلب وإشراقه مادة خير فيه[١] وموته و لمته مادة شر فيه[٢]

أصل[٣] كل خير[٤] وسعادة للعبد بل لكل حي ناطق: كمال حياته ونوره، فالحياة والنور مادة الخير كله، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام:١٢٢] فجمع بين الأصلين: الحياة والنور، فبالحياة[٥] تكون قوته، وسمعه، وبصره، وحياؤه، وعفته، وشجاعته، وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة، ومحبته للحُسن، وبغضه للقبيح، فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات، وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته في نفسه، فالقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح[٦] نفر منها بطبعه وأبغضها و لم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبدالله بن مسعود[٧] رضي الله عنه: ((هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر))[٨].

---

(١) سقط قوله: [فيه] من (ش).

(٢) سقط قوله: [فيه] من (ش).

(٣) في (ع) زيادة حرف الواو: [وأصل].

(٤) في (ع) زيادة: [فيه].

(٥) في (ش): [فالحياة].

(٦) في حاشية (ع) كُتبت كلمة: [تغير]، وكُتب فوقها: وهي الأصل.

(٧) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبدالرحمن الهذلي، صحابي من السابقين الأولين، ومن قراء الصحابة، فعن مسروق قال ذُكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: ((خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبلن وأُبي بن كعب))، وأمه هي أم عبد الهذلية، ولهذا سُمي بابن أم عبد، أمّره عمر على الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة (٣٢)هـ، ودفن بالبقيع، وقد أوصى أن يدفن بجوار عثمان بن مظعون رضي الله عنه [انظر: الطبقات الكبرى (٣/١٥٠-١٦٠)، والطبقات (١٦) لخليفة بن خياط، والثقات (٣/٢٠٨)].

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٧٥٨١) والبيهقي في الشعب برقم (٧٥٣٣) عن طارق بن شهاب قال: قال رجل لعبدالله: هلك من لم يأمر بالمعروف و لم ينه عن المنكر، فقال عبدالله: بل هلك من لم يعرف المعروف بقلبه وينكر المنكر بقلبه، وسمي الرجل القائل وهو (عتريس بن عرقوب الشيباني) عند الطبراني في الكبير برقم (٨٥٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (٢٣/٢٨٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٧٥) "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وكذلك القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل[١] إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

وكذلك إذا قوي نوره وإشراقه انكشفت[٢] له صور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه، فاستبان حسن الحسن بنوره وأثره[٣] بحياته[٤]، وكذلك قبح القبيح، وقد ذكر سبحانه وتعالى هذين الأصلين في مواضع من كتابه[٥]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[٦] [سورة الشورى:٥٢] فجمع بين الروح الذي [تحصل][٧] به الحياة، والنور الذي تحصل[٨] به الإضاءة والإشراق، وأخبر أن كتابه الذي أنزله[٩] على رسوله متضمن للأمرين، فهو روح تحيا به القلوب، ونور تستضيء وتشرق به[١٠]، كما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[١١] [سورة الأنعام:١٢٢]، أي: أومن كان كافراً[١٢] ميت القلب مغموراً في ظلمة الجهل فهديناه لرشده ووفقناه للإيمان، وجعلنا قلبه حياً بعد موته مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته، "فجعل الكافر -لانصرافه عن طاعته،

---

(١) سقط قوله: [يميل] من (ش).

(٢) في (ش): [انكشف].

(٣) في (ش): [فآثره]، وفي حاشية (ع): [وأثمر]،وكتب فوقها: (صح).

(٤) في (ع): [بحيائه]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [بحياته] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٥) في (ش) زيادة: [العزيز].

(٦) الآية في (ع) بزيادة قوله تعالى: [﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾].

(٧) في الأصل و(ش): [يحصل]، ولعل الصواب ما أثبته من (ع).

(٨) في النسختين: [يحصل].

(٩) في (ع): [أنزل].

(١٠) في (ش): [يستضيء به ويشرق].

(١١) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾].

(١٢) هذا التفسير أخرجه الطبري (٢٣/٨) عن ابن عباس رضي الله عنه، وسعيد بن منصور (بتحقيق د/الحميد) برقم (٩١٧) في سننه عن محمد بن كعب القرظي، وانظر: تفسير الثعلبي (١٨٦/٤).

وجهله/(١) بمعرفته وتوحيده وشرائع دينه، وتركه(٢) الأخذ(٣) بنصيبه من رضاه، والعمل بما يؤديه إلى نجاته وسعادته- بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة(٤)، ولا يدفع عنها من مكروه، فهديناه للإسلام ونعشناه(٥) به، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه، فأبصر الحق بعد عماه عنه، وعرفه بعد جهله به، واتبعه بعد إعراضه عنه، وحصل له نور وضياء يستضيء به فيمشي بنوره بين الناس"(٦) وهم في سَدَفِ(٧) الظلام، كما قيل(٨):

ليلي بوحيك(٩) مشرق وظلامه في الناس ساري
الناس في سَدَفِ الظلام ونحن في ضوء النهار

ولهذا يضرب سبحانه المثلين: المائي، والناري، لوحيه ولعباده، أما الأول فكما قال في سورة الرعد: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾(١٠) [سورة

(١) (١٠/أ).
(٢) في (ش): [وترك].
(٣) في (ع): [للأخذ].
(٤) في (ع): [بمنافعه]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [بنافعة] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.
(٥) في (ش): [ويغشاه].
(٦) نقل ابن القيم هذا من تفسير الطبري (٨/٢١-٢٢) بتصرف يسير.
(٧) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٣/١٤٨): "السين والدال والفاء أصل صحيح يدل على إرسال شيء على شيء غطاء له، يقال أسدفت القناع أرسلته، والسدفة اختلاط الظلام"، وانظر: العين (٧/٢٣٠)، وجمهرة اللغة (٢/٦٤٥).
(٨) البيتان من مجزوء الكامل وردا بلا نسبة في الرسالة القشيرية (١١١، ٤٢٤)، وشرح نهج البلاغة (١١/٨٠) لابن أبي الحديد، بلفظ: (ليلي بوجهك) موافقاً للنسخة (ش).
(٩) في (ش): [بوجهك].
(١٠) الآية في (ش) إلى قوله تعالى: [﴿ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾].

الرعد:١٧] فضرب لوحيه المثل بالماء لما يحصل به من الحياة، وبالنار لما يحصل [بها][١] من الإضاءة والإشراق[٢]، وأخبر سبحانه أن الأودية تسيل بقدرها، فوادٍ كبير يسع ماء كثيراً، ووادٍ صغير يسع ماء قليلاً، كذلك القلوب مشبهة بالأودية[٣]، فقلبٌ كبير يسع علماً كثيراً، وقلبٌ صغير إنما يسع بقدره، وشبه ما تحتمله القلوب من الشبهات والشهوات بسبب مخالطة الوحي لها [وإنارته][٤] لما فيها من ذلك بما يحتمله السيل من الزبد، وشبه بطلان تلك الشبهات -باستقرار العلم النافع فيها- بذهاب ذلك الزبد وإلقاء الوادي له، وإنما يستقر فيه الماء الذي به النفع، وكذلك في المثل الذي بعده[٥] : يذهب الخبث الذي في ذلك الجوهر ويستقر صفوه.

وأما ضرب هذين المثلين للعباد، [فكما][٦] قال في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٧] [سورة البقرة:١٧-١٨] فهذا المثل الناري، ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:١٩] إلى آخره[٨]، فهذا المثل المائي.

وقد ذكرنا الكلام على أسرار هذين المثلين وبعض ما تضمناه من الحكم في كتاب المعالم[٩] وغيره[١٠].

---

(١) في الأصل: [به]، والصواب ما أثبته من (ع)، وفي (ش): [لها].

(٢) انظر: الفوائد (٢٦).

(٣) في (ش): [بالأدوية].

(٤) سقطت من الأصل، وأثبتها من (ع)؛ ليستقيم الكلام، وفي (ش): [وإناراته].

(٥) وهو المثل الناري.

(٦) في الأصل: [وكما]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٧) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾].

(٨) سقط قوله: [إلى آخره] من (ش).

(٩) في (ش): [العالم].

(١٠) انظر: إعلام الموقعين (١/١٥٢، ١٥٧)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٣٣-٣٨)، وانظر: مفتاح دار السعادة (١/٦١)، والوابل الصيب (٨٢)، وطريق الهجرتين (٨١).

والمقصود: أن صلاح/(١) القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الأصلين، قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [سورة يس:٦٩-٧٠] فأخبر أن الانتفاع بالقرآن والإنذار(٢) به إنما يحصل لمن هو حي القلب، كما قال في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [سورة ق:٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢٤] فأخبر سبحانه أن حياتنا إنما هي بما يدعونا إليه الرسول من العلم والإيمان، فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد(٣) ذلك.

وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه فإن أبدانهم قبور قلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم، فقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢] ولقد أحسن القائل(٤):

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهله ... وأجسامُهم قبلَ القبورِ قُبُورُ
وأرواحهُم في وحشةٍ من جُسُومهم ... وليسَ لهم حتى النُّشورِ نُشُورُ

ولهذا جعل سبحانه وحيه الذي يلقيه إلى الأنبياء روحاً، كما قال تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة غافر:١٥] في موضعين من كتابه(٥)، وقال:

---

(١) (١٠/ب).

(٢) في (ش): [والإيثار].

(٣) في (ش): [بقدر].

(٤) البيتان من الطويل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في ديوانه (٦٢)، والشطر الأول من البيت الثاني هو (وإنَّ امرأً لم يحيَ بالعلمِ ميتٌ***وليس له)، وهكذا ورد بلا نسبة في تفسير السمعاني (١٤١/٢)، والتفسير الكبير (١٧٧/٢)، وأما بالنص الذي ذكره ابن القيم فلم أقف عليه إلا عند ابن القيم في هذا الموضع، وفي مفتاح دار السعادة (٤٨/١، ١٣٧)، ومدارج السالكين (٤٣٠/٢) (٢٦١/٣).

(٥) لعل ابن القيم يقصد بالموضع الثاني قوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى:٥٢] لأنَّ حياة الأرواح والقلوب به، وهذه الحياة الطيبة(١) التي خَصَّ بها سبحانه من قَبِلَ وحيه وعمل به فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢) [سورة النحل:٩٧]، فخصّهم سبحانه بالحياة الطيبة في الدارين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [سورة هود:٣]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣) [سورة النحل:٤١-٤٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٤) [سورة النحل:٣٠] فبين سبحانه أنه يسعد المحسن بإحسانه في الدنيا وفي الآخرة(٥)، كما أخبر أنه يُشقي المسيء بإساءته في الدنيا والآخرة، قال تعالى/(٦): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤] وقال تعالى وجمع بين النوعين(٧): ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن

[سورة النحل:٢]، وهي الآية التي أشار إليها -حول هذا الموضوع- في إعلام الموقعين (١/١٥٨)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٣٨)، وهداية الحيارى (٧٦)، والفوائد (٨٩)، ومدارج السالكين (٣/٢٥٨)، والروح (٢١٨).

(١) في (ع) زيادة: [هي].

(٢) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾]

(٣) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ الآية].

(٤) سقط قوله: [ومثله قوله تعالى]، والآية بعدها من (ش).

(٥) في النسختين: [والآخرة].

(٦) (١١/أ).

(٧) في (ع): [وجمع بين النوعين فقال تعالى] بالتقديم والتأخير.

يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(١) [سورة الأنعام:١٢٥] فأهل الهدى والإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والحرج.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة الزمر:٢٢] فأهل الإيمان في النور وانشراح الصدر، وأهل الضلال في الظلمة وضيق الصدر(٢)، وسيأتي في باب طهارة القلب مزيد تقرير لهذا إن شاء الله.

والمقصود: أن حياة القلب وإضاءته مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه(٣).

---

(١) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية].

(٢) في (ع): [الصدور].

(٣) في (ش) زيادة: [وبالله التوفيق].

الباب الخامس في أن حياة القلب وصحته لا تحصـ إلا بأن يـ ون مدر ـاً للحـ مريداً له مـ ثراً له علـ غير

لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب، كان كماله وصلاحه باستعمال(١) هاتين القوتين فيما ينفعه ويعود بصلاحه وسعادته، فكماله باستعمال(٢) قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل، واستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل، فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه(٣).

وقد أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:٧] ولهذا كان النصارى أخص بالضلال لأنهم أمة جهل، واليهود أخص بالغضب لأنهم أمة عناد، وهذه الأمة هم المنعم عليهم، ولهذا قال سفيان ابن عيينة (٤) : "من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، ومن فسد

---

(١) في (ش): [باستكمال].

(٢) في (ش): [باستكمال].

(٣) هاتان القوتان هما القوة العلمية النظرية والقوة العملية الإرادية، ولا كمال ولا سعادة للعبد إلا باجتماع هاتين القوتين، العلم بالله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وبهذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب، خلافاً لقول من جعل مجرد العلم والتصديق وحده سبباً لسعادة الإنسان، كالفلاسفة والملاحدة الذين علقوا السعادة والنجاة بمجرد العلم بالوجود المطلق، وأنه لا حاجة إلى العمل، **وبطلان دعواهم من وجوه: الأول**: ظنهم أن الكمال في مجرد العلم، **والثاني**: ظنهم أن ما حصل لهم علم، **والثالث**: ظنهم أن ذلك العلم هو الذي يكمل النفس، **والرابع**: ظنهم أن العبادات الشرعية مقصودها تهذيب الأخلاق ورياضة النفس حتى تستعد للعلم، أو مقصودها إصلاح المنزل والمدينة وهو الحكمة العملية، فيجعلون العبادات وسائل محضة إلى ما يدعونه من العلم، ولذلك يرون هذا ساقطاً عمن حصل له المقصود فالوجبات تسقط عنهم بذلك العلم، كما تحل المحرمات بذلك، وهذا هو قول الملاحدة الإسماعيلية، ومن دخل في الإلحاد أو بعضه، أو انتسب إلى الصوفية أو المتكلمين أو الشيعة، وخلافاً لقول جهم ومن وافقه ممن جعل الإيمان مجرد المعرفة [انظر: الصفدية (٢/٢٣٣-٢٣٤، ٢٦٩)، ودرء التعارض (٣/٢٧٤-٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٧/٥٨٥-٥٨٦) (٩/١٣٦-١٣٧)، والرد على المنطقيين (١٤٤-١٤٦، ٤٢٦، ٤٦٠)، ومفتاح دار السعادة (١/٤٠) (٢/١٢١)، والتبيان في أقسام القرآن (٣٦)، والفوائد (١٨)].

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم، أبو محمد الكوفي، ولد سنة (١٠٧)هـ، سكن مكة، روى عن الزهري وعمرو بن دينار، وروى عنه همام بن يحيى وابن المبارك وابن مهدي، كان أعلم الناس بحديث الحجاز

من علمائنا ففيه شبه من اليهود"(١)، لأن النصارى عبدوا بغير علم، واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه، وفي المسند والترمذي(٢) من حديث عدي بن حاتم(٣) عن النبي ﷺ قال: ((اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون))(٤).

وقد جمع سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع من كتابه(٥) /(٦) فمنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

توفي بمكة سنة (١٩٨)هـ [انظر: الكنى والأسماء (٧٣٨/٢) للإمام مسلم، والمعرفة والتاريخ (٥٦/١)، والجرح والتعديل (٣٢/١)].

(١) لم أقف على قول سفيان عند أحد من الأئمة المتقدمين، وأول من وقفت عليه نقله هو شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة (١٠٠/١)، ومجموع الفتاوى (١٩٧/١) (٥٦٧/١٦) (٣٠٧/٢٢)، واقتضاء الصراط المستقيم (٥).

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير الحافظ أبو عيسى، ولد سنة (٢٠٩)هـ، روى عن علي بن حجر والبخاري، وروى عنه أهل خراسان، له (الجامع الصحيح) و(الشمائل)، توفي سنة (٢٧٩)هـ بترمذ [انظر: الثقات (١٥٣/٩)، والإكمال (٣٩٦/٤)، وجامع الأصول (١٩٣/١)].

(٣) عدي بن حاتم الطائي، أبو طريف، من بني ثعل، صحابي جليل، كان نصرانياً فأسلم، نزل الكوفة وابتنى بها داراً في طيء، ولم يزل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شهد معه الجمل وصفين، وذهبت عينه يوم الجمل، وتوفي سنة (٦٨)هـ بالكوفة [انظر: الطبقات الكبرى (٢٢/٦)، والتاريخ الكبير (٤٣/٧)، والكنى والأسماء (٤٦٠/١)].

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة فاتحة ح (٢٩٥٣) (٢٩٥٤)، والإمام أحمد في المسند ح (١٩٤٠٠)، والطيالسي في مسنده ح(١٠٤٠)، وسعيد بن منصور في سننه (بتحقيق د/الحميد) ح(١٧٩)، والمروزي في الفوائد (الجزء الثاني من حديث يحيى بن معين) (١١١)، وابن أبي عاصم في الأوائل ح(١٥٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣٨٢/١)، والطبري في تفسيره (٨٣/١)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣١/١)، والنحاس في معاني القرآن (٦٩/١)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦)، والطبراني في الكبير ح(٢٣٣) و(٢٣٦)، وفي الأوسط ح(٣٨١٣)، والثعلبي في تفسيره (١٢٤/١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وقال الطبراني في الأوسط: لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد إلا سفيان بن عيينة تفرد به عبد الله بن جعفر، قال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٦) "رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عماد بن حبيش وهو ثقة"، وصححه شيخ الإسلام في الفتاوى (٦٤/١) (٣٠٧/٢٢)، ودرء التعارض (١٦٦/١)، وابن القيم في مفتاح دار السعادة (٣٧/١)، والألباني في صحيح الجامع ح(٨٢٠٢).

(٥) في (ش) زيادة: [العزيز].

(٦) (١١/ب).

﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦] فجمع بين الاستجابة له والإيمان به، ومنها قوله عن رسوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧] وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى قوله ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١) [سورة البقرة:١-٥] وقال في وسط السورة: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٢) [سورة البقرة:١٧٧] إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾(٣) [سورة العصر:١-٣]، فأقسم سبحانه بالدهر(٤) -الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة- على أن كل أحد في خسر إلا من كمَّل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته(٥)، فهذا كماله في نفسه، ثم كمَّل غيره بوصيته له بذلك(٦)، وأمره إياه به، وبملاك ذلك وهو الصبر، فكمَّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمَّل غيره بتعليمه إياه

---

(١) سقطت الآية كاملة من (ش)، والجزء الأول من الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾].

(٢) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾]، وفي (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾].

(٣) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿خُسْرٍ﴾].

(٤) وهو قول أكثر المفسرين وهو الصحيح كما قال ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن (٥٤)، وكلامه في هذا الموضع بديع، وممن قال به من المفسرين: الفراء في معاني القرآن (٢٨٩/٣)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٥٣٨)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣٥٩/٥)، وهو اختيار الطبري (٢٨٩/٣٠)، وقال به من أئمة اللغة الخليل في العين (٢٩٢/١)، وابن السكيت في إصلاح المنطق (٩١)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٠/٢)، والجوهري في الصحاح (٧٤٨/٢)، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٣٤٠/٤).

(٥) في (ش): [بطاعة الله].

(٦) سقط قوله: [بذلك] من (ش).

ذلك[١]، ووصيته له بالصبر عليه، ولهذا قال الشافعي[٢] رضي الله عنه: "لو فكّر الناس في سورة: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[٣] لكفتهم"[٤].

وهذا المعنى في القرآن في مواضع كثيرة : يخبر سبحانه أن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأن[٥] أهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه، أو خالفوه واتبعوا غيره.

وينبغي أن تعرف[٦] أن هاتين القوتين لا [تتعطلان][٧] من[٨] القلب، بل إن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه، وإلا استعملها[٩] بمعرفة ما[١٠] يليق به ويناسبه من الباطل، وإن استعمل قوته الإرادية العملية في العمل به، وإلا استعملها في ضده[١١]،

---

(١) سقط قوله: [ذلك] من (ع).

(٢) الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، أبو عبدالله الشافعي، ولد بغزة سنة (١٥٠)هـ، نشأ بمكة وفيها طلب العلم، ورحل إلى اليمن والعراق واستقر بمصر، روى عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وروى عنه أحمد بن حنبل والحميدي، له (الأم) و(الرسالة)، وتوفي بمصر سنة (٢٠٤)هـ [انظر: التاريخ الكبير (٤٢/١)، والجرح والتعديل (٢٠١/٧) لابن أبي حاتم، والثقات (٣٠/٩) لابن حبان].

(٣) في (ش): [العصر].

(٤) قال النووي في رياض الصالحين (٤٦): "قال الشافعي كلاماً معناه أن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة"، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات (٧٥/١)، وأما باللفظ الذي ذكره ابن القيم فانظر: الاستقامة (٢٥٩/٢)، ومجموع الفتاوى (١٥٢/٢٨)، ومفتاح دار السعادة (٦١/١)، ورسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (٢١)، ونقله ابن القيم في عدة الصابرين (٦٠) بلفظ "لوسعتهم".

(٥) سقطت: [أن] من (ع).

(٦) في (ش): [يُعرف].

(٧) في جميع النسخ: [يتعطلان]، والصواب ما أثبته ليستقيم الكلام.

(٨) في النسختين: [في].

(٩) في (ش): [استعملته].

(١٠) في (ع) زيادة: [لا].

(١١) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٤٠/١): "وذلك أن العبد له قوتان، قوة الإدراك والنظر وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام، وقوة الإرادة والحب وما يتبعه من النية والعزم والعمل، فالشبهة تؤثر فساداً في القوة العلمية النظرية ما لم يداوها بدفعها، والشهوة تؤثر فساداً في القوة الإرادية العملية ما لم يداوها بإخراجها".

فالإنسان حارث همام بالطبع، كما قال النبيﷺ: ((أصدق الأسماء: حارث وهمام))[١] فالحارث الكاسب العامل، والهمام المريد، فإن النفس متحركة بالإرادة، وحركتها الإرادية لها من لوازم ذاتها، والإرادة تستلزم مراداً يكون متصوراً لها متميزاً عندها، فإن لم تتصور[٢] الحق وتطلبه[٣]/[٤] وتريده[٥] تصورت الباطل وطلبته وأرادته ولابد، وهذا يتبين بالباب الذي بعده فنقول:

الباب السادس[٦] أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية محبوبه وأحب إليه من ما سواه

معلوم أن كل حي سوى الله سبحانه: من مَلَك، أو إنس، أو جن، أو حيوان فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ولا يتم له [ذلك][٧] إلا بتصور النافع والضار[٨]،

---

(١) أخرجه من حديث أبي وهب الجشمي رضي الله عنه أبو داود في كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء ح(٤٩٥٠)، والإمام أحمد في المسند ح(١٩٠٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد ح(٨١٤)، وأبو يعلى في مسنده ح(٧١٦٩)، والدولابي في الكنى والأسماء ح(٣٤٤)، والطبراني في الكبير ح(٩٤٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ح(٧٠٤٥)، والبيهقي في الكبرى ح(١٩٠٩٠)، كما أخرجه النسائي في سننه سنن النسائي كتاب الخيل باب ما يستحب من شية الخيل ح (٣٥٦٥) من غير لفظ (أصدقها حارث وهمام)، وقد رجح أبو حاتم في العلل (٣١٢/٢) إرساله، وأن أبا وهب إنما هو الكلاعي عبيدالله بن عبيد، صاحب مكحول يروي عن التابعين، واستغرب من كيف خفي هذا عن أحمد حينما روى الحديث، وبيّن جهالة عقيل بن شبيب الراوي عن أبي وهب، وقد صحح الحديث شيخ الإسلام في الفتاوى (٤٣/٧) (٢٩٥/١٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح(٨١٤) والصحيحة ح(١٠٤٠)، وضعفه في الإرواء ح(١١٧٨)، وضعيف الجامع ح(٢٤٣٥).

(٢) في (ش): [يتصور].

(٣) في (ش): [يطلبه].

(٤) (١٢/أ)

(٥) في (ش): [يريده].

(٦) في النسختين زيادة: [في]، وفي (ش): [في أن].

(٧) زيادة من (ش)، وسقطت من الأصل و(ع)، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٨) في (ع): [بتصوره للنافع والضار].

والمنفعة من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب[١].

فلابد[٢] **من أمرين: أحدهما:** هو المحبوب المطلوب الذي يلتذ به وينتفع[٣] بإدراكه، **والثاني:** المعين الموصل المحصل لذلك المقصود، وبإزاء ذلك أمران آخران[٤] **أحدهما:** مكروه بغيض ضار، **والثاني:** مُعين دافع له عنه، **فهذه أربعة أشياء:**

[**أحدها**][٥]: أمر هو محبوب مطلوب الوجود، **الثاني:** أمر[٦] مكروه مطلوب العدم، **الثالث:** الوسيلة إلى حصول المحبوب، **الرابع:** الوسيلة إلى دفع المكروه، فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان لا يقوم [وجوده][٧] وصلاحه إلا بها.

فإذا تقرر ذلك[٨] فالله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب؛ الذي يُراد وجهه؛ ويُبْتغَى[٩] قربه؛ ويُطلب رضاه، وهو المُعين على حصول ذلك، وعبودية ما سواه والالتفات إليه والتعلق به: هو المكروه الضار[١٠]، وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه، فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له، و[١١] المكروه البغيض هو بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه، كما قال أعرف الخلق به: ((أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك

---

(١) نقل ابن القيم بداية هذا الباب من كتاب قاعدة جليلة في توحيد الإلوهية لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (١/٢٠-٣٤) بزيادات، كما إنه قريب جدا مما في طريق الهجرتين (٩٦-١٠٩).

(٢) في (ش) زيادة: [له].

(٣) في النسختين: [ينتفع ويلتذ به] بالتقديم والتأخير.

(٤) سقط قوله: [آخران] من (ش).

(٥) في الأصل: [أحدهما]، والصواب ما أثبته من النسختين، لأن الأشياء التي ذكرها أربعة لا اثنين.

(٦) في (ش): [أنه].

(٧) سقطت من الأصل، وأثبتها من النسختين؛ ليستقيم الكلام، والجملة هكذا في مجموع الفتاوى (١/٢٢).

(٨) هذا هو الوجه الأول للأوجه العشرة التي سيذكرها ابن القيم، وهي الأوجه التي تُبين أن توحيد الله تعالى وإخلاص الوجه والعمل له سبحانه، عبادةً واستعانةً؛ هي قطب رحى الدين، وهكذا جاء في المصدر المنقول منه وهو مجموع الفتاوى (١/٢٢).

(٩) في (ش): [ينبغي].

(١٠) في (ش): [الضار المكروه] بالتقديم والتأخير.

(١١) في (ش) زيادة: [دفع].

من عقوبتك وأعوذ بك منك))[١] وقال: ((اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك))[٢] فمنه المنجا، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة/[٣] فعله، والمستعاذ منه فعله أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته، فالأمر كله له، والحمد كله له، والملك كله له، والخير كله في يديه، لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه كل أحد من خلقه، ولهذا كان صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى[٤]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب؛ لكن على أكمل الوجوه[٥]، والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب؛ **فالأول**: من معنى ألوهيته، **والثاني**: من معنى ربوبيته، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب: محبة وإنابة وإجلالا وإكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا، والرب هو الذي يُربّ عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى مصالحه، فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل، فكذلك إلهية ما سواه.

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود:١٢٣] وقوله عن نبيه شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح(٤٨٦)، كما أخرجه من حديث علي رضي الله عنه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب القنوت في الوتر ح(١٤٢٧)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في دعاء الوتر ح(٣٥٦٦)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر ح(١٧٤٧)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر ح(١١٧٩)، وأحمد في المسند ح(٧٥١) (٩٥٧) (١٢٩٤)، وصححه الألباني في الإرواء ح(٤٣٠).

(٢) أخرجه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ح(٢٤٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح(٢٧١٠).

(٣) (١٢/ب).

(٤) سقط قوله: [معنى] من (ش)، وفي (ع) زيادة: [قوله].

(٥) سقط قوله: [لكن على أكمل الوجوه] من (ش).

﴿تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود:٨٨] وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الفرقان:٥٨] وقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل:٨-٩] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد:٣٠] وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١) [سورة الممتحنة:٤].

فهذه سبعة(٢) مواضع [تنتظم](٣) هذين الأصلين الجامعين لمعنى التوحيد اللذين لا سعادة للعبد بدونهما البتة.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئاً هو أحب إليهم؛ ولا أقر لعيونهم؛ ولا أنعم لقلوبهم؛ من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة، ولم يعطهم في الدنيا شيئاً خيراً لهم؛ ولا أحب إليهم؛ ولا أقر لعيونهم؛ من الإيمان به ومحبته، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعم بذكره، وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأمرين في الدعاء الذي رواه النسائي(٤) والإمام

---

(١) الآية في النسختين إلى قوله سبحانه: [﴿أَنَبْنَا﴾].

(٢) في (ش): [سبع]، والموضع الأول في سورة الفاتحة، ثم الآيات الست الأخرى التي ذكرها معاً، وعلّق ناسخ (ع) وهو الشيخ إبراهيم الضويان ما نصه: "ظاهره أنه ليس ثم غيرها، ومثلها قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الآية، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فهذه أحد عشر موضعاً".

(٣) في الأصل و(ش): [ينتظم]، والصواب ما أثبته من (ع)، ومن مجموع الفتاوى (٢٢/١)، ليستقيم الكلام، ولأن ما بعدها منصوب.

(٤) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، أبو عبدالرحمن النسائي، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين، ولد بنسأ سنة (٢١٥)هـ، طاف البلاد وسمع في خراسان، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام، والجزيرة، روى عن: إسحاق بن راهوية، وأحمد بن نصر، وروى عنه: الدولابي، والطحاوي، والنحاس، له (السنن الكبرى) و(المجتبى الصغرى) و(النعوت)، توفي سنة (٣٠٣)هـ بالرملة، ودفن ببيت المقدس

أحمد(١) وابن حِبَّان(٢) في صحيحه/(٣) وغيرهم من حديث عمار بن ياسر(٤): أن رسول الله ﷺ كان يدعو به: ((اللهم بعلمك الغيب؛ وقدرتك على الخلق؛ أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع(٥)، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك من(٦) غير ضراء مُضِرةٍ ولا فتنة مُضِلَّة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين))(٧).

[انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٧٨٢/٢)، تهذيب الكمال (٣٢٨/١)، وسير أعلام النبلاء (١٢٥/١٤)].

(١) في (ع): [الإمام أحمد والنسائي] بالتقديم والتأخير، والإمام أحمد هو إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، ولد ببغداد سنة (١٦٤)هـ، رحل في طلب العلم إلى الكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، واليمن، امتحن وضرب بالسياط ليقول بخلق القرآن فأبى ذلك، وثبت على السنة، له (المسند) و(فضائل الصحابة)، توفي سنة (٢٤١)هـ ببغداد [الطبقات الكبرى (٣٥٤/٧)، والتاريخ الكبير (٥/٢)، ومعرفة الثقات (١٩٤/١)].

(٢) محمد بن حِبَّان بن أحمد بن حِبَّان التميمي، أبو حاتم البستي الحباني كان إماماً فاضلاً مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ، روى عن: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وروى عنه: أبو عبد الله الحاكم، وأبو عبد الله بن مندة، له (الثقات)، و(التقاسيم والأنواع)، توفي ببست سنة (٣٥٤)هـ [انظر: الإكمال (٣١٦/٢)، والأنساب (١٦٤/٢)، وتاريخ دمشق (٢٩٤/٥٢)].

(٣) (١٣/أ).

(٤) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك من بني كنانة، أبو اليقظان، صحابي جليل، قدم ياسر بن عامر من اليمن إلى مكة فأقام بها، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة، فزوجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها: سُمية بنت خياط، فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار، ضمن أول من أسلم، فعذبتهم قريش لردهم عن دينهم فثبتوا، ولاَّه عمر على الكوفة، قال فيه ﷺ ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية)) فقتل يوم صفين سنة (٣٧)هـ، وعمره (٩١) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٢٤٦/٣)، والكنى والأسماء (١٨٧/١) للدوبي، والثقات (٣٠١/٣)].

(٥) في (ش): [ينقطع].

(٦) في النسختين: [في]، والصواب ما أثبته من الأصل، وكذا في المسند والنسائي.

(٧) أخرجه النسائي في كتاب السهو باب نوع آخر ح(١٣٠٥) (١٣٠٦)، والإمام أحمد في المسند ح(١٨٣٥١)، وابن فضيل في الدعاء ح(٨٢)، وابن أبي شيبة في المصنف ح(٢٩٣٤٦)، وفي المسند ح(٤٤٢) (٢٩٣٤٦)، والدارمي في الرد على الجهمية ح(١٨٨)، وعبدالله بن أحمد في السنة ح(٤٦٦) (٤٦٧)، والبزار في المسند

فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا؛ وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة؛ وهو النظر إلى وجهه سبحانه (١)، ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفاً على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال: ((من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)).

ولما كان كمال العبد في أن يكون عالماً بالحق متبعاً له، مُعلما لغيره مرشداً له قال: ((اجعلنا هداة مهتدين)).

ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله -فإن ذلك عزم على الرضى(٢) فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم- سأل الرضى بعده، فإن المقدور يكشفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه، فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما، كما في المسند وغيره عنه ﷺ قال: ((إن من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله، وإن من شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله))(٣).

(البحر الزخار) ح(١٣٩٢) (١٣٩٣)، والنسائي في الكبرى ح(١٢٢٨) (١٢٢٩)، وأبو يعلى ح(١٦٢٤)، وابن خزيمة في التوحيد ح(١٣)، ومن طريقه ابن حبان ح(١٩٧١)، كما أخرجه الطبراني في الدعاء ح(٦٢٤) (٦٢٥)، والدارقطني في رؤية الله ح(١٧٣) (١٧٤)، والحاكم في المستدرك ح(١٩٢٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ح(٨٤٥)، والبيهقي الأسماء والصفات ح(٢٢٧)، وفي الدعوات الكبير ح(٢٢٠)، قال البزار : "لا نعلم روى قيس بن عباد عن عمار إلا هذا الحديث"، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧٧): "ورجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب اختلط"، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٣٠١).

(١) حديث عمار رضي الله عنه أصل في إثبات لذة النظر إلى وجه الله والشوق إلى لقائه، وهو قول سلف الأمة وأئمتها، خلافاً للجهمية المنكرين لوجه الله سبحانه فلا ينظر إليه، فضلاً أن يحصل به لذة، كما قال ابن عقيل -الذي في كلامه كثير من كلام المعتزلة- لما سمع داعياً يدعو بهذا الدعاء، قال: يا هذا هب أن له وجهاً، أفتتلذذ بالنظر إليه؟ [انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٥٥) (١٠/٦٩٥)، والاستقامة (٢/٩٨)، والصفدية (٢/٢٧١)، والصواعق المرسلة (٤/١٤٥٣)، ومدارج السالكين (٣/٢٤)، وطريق الهجرتين (٤٨٨)] .

(٢) نقل ابن القيم هذا عن شيخه ابن تيمية كما صرّح به في المدارج (٢/٢٢٣)، وهو في مجموع الفتاوى (١٠/٣٧).

(٣) أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء ح(٢١٥١)، والإمام أحمد في المسند ح(١٤٤٤)، والحاكم في المستدرك ح(١٩٠٣)، والبيهقي في الشعب ح(٢٠٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ح(١٧١٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق

ولما كانت خشية الله رأس كل خير في المشهد والمغيب[١]؛ سأله خشيته في الغيب والشهادة.

ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه؛ فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل؛ وقد يدخله أيضا رضاه في الباطل؛ سأل الله أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضى، ولهذا قال بعض السلف: "لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب/[٢] أخرجه غضبه من الحق"[٣].

(٧٢/٥٨)، قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ويقال له أيضاً: حماد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم المدني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث"، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال ابن حجر في الفتح (١٨٤/١١): "أخرجه أحمد وسنده حسن"، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(١٩٠٦)، وأخرجه والبزار في المسند (البحر الزخار) ح(١١٧٨)، وأبو يعلى في مسنده ح(٧٠١)، والشاشي في مسنده ح(١٨٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ح(١١٠٣) بلفظ: ((من سعادة المرء استخارته ربه ورضاه بما قضى ومن شقاء المرء تركه الإستخارة وسخطه بعد القضاء))، قال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن سعد، ولا نعلم رواه عن سعد إلا ابنه محمد، ورواه عن إسماعيل محمد بن أبي حميد وعبد الرحمن بن أبي بكر"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٢): "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار إلا أنه قال: ((من سعادة المرء استخارته ربه ورضاه بما قضى ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وسخطه بعد القضاء)) وفيه محمد بن أبي حميد، وقال ابن عدي: ضعفه بيّن على ما يرويه، وحديثه مقارب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وقد ضعفه أحمد والبخاري وجماعة"، وقال العيني في عمدة القاري (٢٢٣/٧): "ولا يصح إسناده"، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(٦٢١٢) وقال: "وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير عبدالرحمن ابن أبي بكر، وهو : المليكي، وهو ممن اتفقوا على تضعيفه، بل ضعفه جداً جمع من الأئمة... وثمة علة خفية ، وهي تدليس عمر المقدمي هذا ، فإنه مع ثقته واحتجاج الشيخين بحديثه، فمن الصعب جداً الاحتجاج بحديث له خارج "الصحيحين "، ولو صرَّح بالتحديث؛ لأنه كان مُدلِّساً كما نص عليه جمع من الأئمة، وكان تدليسه خبيثاً غريباً من نوعه، سماه بعضهم : تدليس السكوت... وهذا هو الذي أخشاه: أن يكون تلقاه عن راوٍ ضعيف ثم أسقطه".

(١) في (ع): [الغيب].

(٢) (١٣/ب).

(٣) اختلف في نسبته، فهناك من رفعه إلى النبيﷺ كما فعل أبو طالب المكي في قوت القلوب (١٢٢/٢)، والماوردي في أدب الدنيا والدين (٢٦٩)، وذكر السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٨٧/٦) أنه لم يجد له إسناداً، وذكر العراقي في المغني عن حمل الأسفار ح(٤٢١٩) إنه عند الطبراني في الصغير بإسناد ضعيف بلفظ ((ثلاث من أخلاق الإيمان من إذا غضب لم يدخله غضبه...))، وقد أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في الصغير ح(١٦٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: لم يروه عن الزبير بن عدي إلا بشر بن الحسين، وكذا

ولما كان الفقر والغنى محنتين وبليتين يبتلي الله بهما عبده، ففي الغنى يبسط يده، وفي الفقر يقبضها، سأل الله القصد في الحالين، وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

ولما كان النعيم نوعين: نوعاً للبدن، ونوعاً للقلب -وهو قرة العين- وكماله بدوامه واستمراره جمع بينهما في قوله: ((أسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع[١])) ولما كانت الزينة زينتين: زينة البدن وزينة القلب، وكانت زينة القلب أعظمهما قدراً؛ وأجلهما خطراً، وإذا حَصَلَت حَصَلَت زينةُ البدن على أكمل الوجوه في العقبى، سأل ربه الزينة الباطنة فقال ((زيِّنا بزينة الإيمان)).

ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائناً من كان، بل هو محشو بالغصص والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة، سأل ((برد العيش بعد الموت))[٢].

والمقصود: أنه جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا، وأطيب ما في الآخرة، فإن

أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٦٨/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٩/١): "رواه الطبراني في الصغير، وفيه بشر بن الحسين وهو كذاب"، وحكم عليه الألباني في الضعيفة ح(٥٤١) بالوضع، وقال: "وراويه عنه -يعني بشر بن الحسين- الهمداني مجهول كما قال ابن المديني، والحديث مما سود به السيوطي جامعه، ولهذا تعقبه شارحه المناوي بكلام الهيثمي المذكور، ثم قال: "فكان ينبغي للمصنف حذفه من هذا الكتاب"، ولعل السيوطي اغتر باقتصار الحافظ العراقي على تضعيفه في (تخريج الإحياء)، وهو منه قصور أو ذهول أو تسامح في التعبير، لأن الحديث الموضوع من أقسام الحديث الضعيف"، ورواه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي في المجالسة وجواهر العلم (٢٢٧) بسنده عن سفيان الثوري قال: قال لقمان الحكيم لابنه: ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الإيمان: "من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له"، وكذا نسبه إليه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢٩٠/٣)، والزمخشري في ربيع الأبرار (٢١٧/٢)، ورواه الآجري بسنده في أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز (٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣١٣/٥) عن محمد بن كعب القرظي مخاطباً به عمر بن عبدالعزيز، ورواه البيهقي بسنده في الشعب برقم (٨٣٢٩) إلى السري السقطي، وكذا نسبه إليه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣٨١/٢)، ونسبه المبرد في الفاضل (٢٧)، والطرطوشي في سراج الملوك (٨٣) إلى عمر بن عبدالعزيز، ونسبه الآبي في نثر الدر (٢٤٧/١) إلى جعفر الصادق، ونسبه الطرطوشي في سراج الملوك (٣٤) إلى الحسن بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب مخاطباً به عمر بن عبدالعزيز.

(١) في (ش): [ينقطع].

(٢) لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ شرح جميل على حديث عمار بعنوان: "شرح حديث عمار: ((اللهم بعلمك الغيب))"، مطبوع بتحقيق: إبراهيم العرف.

حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتألههم له كحاجتهم إليه في خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وأمن روعاتهم، بل حاجتهم إلى تألهه ومحبته وعبوديته أعظم، فإن ذلك هو الغاية المقصود لهم، ولا صلاح(١) ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال، ولهذا كانت لا اله إلا الله أحسن الحسنات(٢)، وكان توحيد الإلهية رأس الأمر، وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم(٣) فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم، كما بين ذلك سبحانه في كتابه في عدة مواضع(٤)، ولهذا كان

---

(١) في النسختين زيادة: [لهم].

(٢) دلّ عليه حديث أبي ذر ﷺ قال قلت ((يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أفضل الحسنات)) وفي لفظ ((أحسن الحسنات)) وفي لفظ ((أكبر الحسنات)) والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ح(٢١٥٢٥)، وفي الزهد (٢٧)، وهناد في الزهد ح(١٠٧١)، والطبري في تفسيره (١١٠/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣١/٥) (٢٩٣٤/٩، ٣٠٢٤)، وابن حبان في الثقات (٤١١/٨)، والطبراني في الدعاء ح(١٤٩٨-١٥٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٢١٧/٤-٢١٨)، وفي تاريخ أصبهان ح(٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح(٢٠١) (٢٠٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١/١٠) "رواه أحمد، ورجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية؛ حدث به عن أشياخه عن أبي ذر و لم يسم أحداً منهم"، وحسّنه ابن حجر في الأمالي المطلقة (١٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ح (١٣٧٣) بمجموع طرقه.

(٣) من أمثلة ذلك ما قرره القاضي عبدالجبار في كتاب المختصر في أصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (١٧٢/١) قال: "فإن قال: فبينوا لي جمل ما يلزمه في التوحيد أن يعرفه، قيل له: يدور ذلك على أصول خمسة: أولها: إثبات حدوث العالم، والثاني: إثبات المحدث، والثالث: بيان ما يستحقه من الصفات، والرابع: العلم بما لا يجوز عليه من صفات المخلوقين، والخامس: إثبات الوحدانية فإذا عرفت هذه تحصلت جمل ما يلزمه في التوحيد"، وانظر: المحيط بالتكليف (٣٥)، وقال أيضاً -مُعَرِّفاً التوحيد- في شرح الأصول الخمسة (١٢٨) "فأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به"، وأما الأشاعرة فقال الجويني في الشامل (١٧٣) "وقد يراد بالتوحيد اعتقاد الوحدانية، وهو مراد المتكلم بإطلاق هذه اللفظة...والغرض من كتاب التوحيد إقامة الدلالة على وحدانية الإله، وأنه لا إله سواه"، وقال الآمدي - مُعَرِّفاً التوحيد- في إبكار الأفكار (٩٢/٢) "وقد يطلق ويراد به اعتقاد الوحدانية لله تعالى، وهذا هو المقصود من إطلاق لفظ التوحيد في عُرف المتكلمين"، هذا هو التوحيد عندهم، وهو مجرد توحيد الربوبية كما يتضح من النقول.

(٤) قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس:٣١]، وقال سبحانه: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ

حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ بن جبل(١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أتدري ما حق الله على عباده(٢) قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار))(٣) ولذلك(٤) يحب سبحانه/(٥) عباده المؤمنين الموحدين، ويفرح بتوبتهم، كما أن في ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه، فليس في الكائنات شيء غيرُ الله يسكن القلب إليه ويطمئن به ويأنس به ويتنعم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة فمضرته بذلك

ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت:٦١-٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، روى ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٧/٧) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "تسألهم من خلقهم؟ ومن خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره"، وروى البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٠) بسنده عن عكرمة قال: "يسألهم من خلق ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره" [وانظر: مجموع الفتاوى (٢٣/١) (٢٦٤/١٠) (٥٠/١١) (٣٧٧/١٤)، واقتضاء الصراط المستقيم (٤٦٠)، ودرء التعارض (٣٤٤/٩)].

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب، أبو عبدالرحمن الأنصاري، صحابي جليل، شهد العقبتين، آخى بينه ﷺ وبين عبدالله بن مسعود، شهد بدراً وعمره عشرون سنة، وبقية المشاهد، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن سنة (٩)هـ، وقال عنه ((أعلم أمتي بالحلال والحرام))، انتقل إلى الشام، وتوفي في طاعون عمواس سنة (١٨)هـ، وله إحدى وثلاثون سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٥٨٣/٣)، ومعجم الصحابة (٢٤/٣) لابن قانع، والثقات (٣٦٨/٣)].

(٢) في (ع): [العباد]، وكلاهما من ألفاظ الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار ح(٢٧٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ح(٣٠).

(٤) في (ش): [وكذلك].

(٥) (١٤/أ).

أضعاف أضعاف منفعته، وهو بمنزلة أكل الطعام المسموم اللذيذ(١)، وكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله(٢) لفسدتا كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٣) [سورة الأنبياء:٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله؛ فسد فساداً لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه، ويكون الله وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه.

الوجه الثالث(٤): أن فقر العبد إلى أن يعبد الله(٥) وحده لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس، وبينهما فروق كثيرة (٦).

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بإلهه الحق الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن إلا بذكره، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبه، وهو كادح إليه كدحاً فملاقيه، ولا بد له من لقائه، ولا صلاح له إلا [بتوحيده و](٧) محبته وعبادته وخوفه ورجائه.

ولو حصل له من اللذات والسرور بغيره ما حصل فلا يدوم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم(٨) بهذا في حال، وبهذا في حال، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به هو أعظم أسباب ألمه ومضرته(٩).

---

(١) في مجموع الفتاوى (٢٤/١) "فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم".

(٢) في (ش): [إله غيره سبحانه].

(٣) سقط قوله: [كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾] من (ع).

(٤) جعل شيخ الإسلام هذا الوجه داخلاً فيما قبله كما في مجموع الفتاوى (٢٤/١).

(٥) في (ع): [يعبده سبحانه].

(٦) هذا ما ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى (٢٤/١)، لكنه قال في قاعدة في المحبة (ضمن جامع الرسائل) (٢٣٠/٢) "وحاجتهم إلي التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء، فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس، ولن يصلحهم إلا تأله الله وعبادته وحده لا شريك له، وهي الفطرة التي فطروا عليها"، وانظر: الفتاوى (٦٠٦/٢٢).

(٧) في الأصل و(ش): [بتوحيد]، والصواب ما أثبته من (ع)، ليشمل اللفظ جميع أنواع التوحيد.

(٨) في (ش): [ينعم]، وفي الفتاوى (٢٤/١): "ويتنعم" كالأصل.

(٩) في (ع): [مضرته وألمه] بالتقديم والتأخير.

وأما إلهه الحق فلا بد له منه في كل وقت وفي كل حال، وأينما كان، فنفس(١) الإيمان به، ومحبته، وعبادته، وإجلاله، وذكره هو غذاء الإنسان، وقوته، وصلاحه، وقوامه كما عليه أهل الإيمان(٢)، ودلَّ عليه السنة والقرآن(٣)، وشهدت به الفطرة والجنان(١)، لا كما يقوله

---

(١) في (ش): [نفس].

(٢) هذه مسألة مقاصد العبادات أو حكمة التكليف وقد وقع فيها الخلاف بين الطوائف-كما أشار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ- على أربعة أقوال:

القول الأول: أن الحكمة منها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها، لتستعد للعلم، الذي هو العلم بالوجود المطلق فحسب، الذي لا حقيقة له إلا في الأذهان دون الأعيان، فليست الأعمال عندهم مقصودة لذاتها، وهذا قول متفلسفة اليونان، ومن اتبعهم من الملاحدة والإسماعيلية، وغيرهم من المتفلسفة الإسلاميين، ومن سلك طريقهم من المتكلمين والصوفية [انظر: النجاة (١٥٢/٢، ١٦٩) لابن سينا، ودلالة الحائرين (٥٩٧) لموسى بن ميمون القرطبي].

القول الثاني: أن الحكمة منها تعريض المكلفين للثواب، وتعريضهم إلى الدرجة التي لا ينالونها إلا به، ومعاوضتهم عليها، ليثيبهم عليها بعد الموت، لأن درجة الثواب لعظمها ووقوعها موقع التعظيم لا يحسن يبتدأ بها، وبهذا يحسن التكليف، وبعضهم يقول إن الغاية المقصودة التي يحصل بها الثواب هي العمل، والعلم وسيلة إليه، وربما قالوا ذلك في معرفة الله تعالى، وهذا قول المعتزلة من القدرية وغيرهم[انظر: شرح الأصول الخمسة: (٥١٠-٥١١)، كتاب المختصر في أصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (٢٢٩/١)، والمغني في أبواب التوحيد والعدل (١٣٤/١١، ٤٠٩)].

القول الثالث: أنها لمجرد التكليف والمشقة، لا لحكمة مطلوبة بل لمحض المشيئة، قالوا: وهي خلاف مقصود القلب، لمجرد الامتحان والابتلاء، وهذا قول الجبرية نفاة الحكمة والتعليل من الجهمية والأشاعرة وغيرهم من المتكلمين [انظر: المحصل (٤٨٧) للرازي، والمواقف (٢٨٤/٣، ٢٩٩، ٣٧٦) للإيجي].

القول الرابع: أن الحكمة هي معرفة الله ومحبته وطاعته والتقرب إليه وابتغاء الوسيلة إليه، والله سبحانه يستحقه لذاته، وهو سبحانه المحبوب لذاته، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها [انظر هذه المسألة في: الجواب الصحيح (٢٣/٦-٤١)، ومجموع الفتاوى (٢٥/١) (١٣٦/٩)، والرد على المنطقيين (١٤٥)، والصفدية (٢٣٢/٢)، ودرء التعارض (٢٦٩/٣-٢٧٦) ومفتاح دار السعادة (١٢٢/٢-١٢٣)].

(٣) قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم:٣٠-٣٢]، ومن السنة حديث معاذ السابق، وانظر: الجواب الصحيح (٢٧/٦-٣٠)، وقد ذكر ابن القيم بعضها في مفتاح دار السعادة (١١٩/٢-١٢٠) وأفاد أنه سيقررها من أكثر من مائة وجه لكنه أنهى الكتاب دون ذكرها.

من قلَّ نصيبه من التحقيق والعرفان، وبُخِس[٢] حظه من الإحسان: إن عبادته وذكره وشكره/[٣] تكليفٌ ومشقة لمجرد الابتلاء والامتحان؛ أو لأجل مجرد التعويض بالثواب المنفصل كالمعاوضة بالأثمان[٤]، أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها ليرتفع[٥] عن درجة البهيم[٦] من الحيوان، كما هي مقالاتٌ لمن بُخِس حظه من معرفة الرحمن، وقلَّ نصيبه من ذوق حقائق الإيمان، وفرح بما عنده من زبد الأفكار، وزبالة الأذهان، بل عبادته ومعرفته وتوحيده وشكره قرة عين الإنسان، وأفضل لذة الروح والقلب والجنان[٧]، وأطيب نعيم ناله من كان أهلاً لهذا الشان، والله المستعان وعليه التكلان.

وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول، وإن وقع ذلك ضمناً وتبعاً في بعضها؛ لأسباب اقتضته لابد منها[٨] هي من لوازم هذه النشأة[٩].

---

(١) دل على ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ح(١٢٩٣)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ح(٢٦٥٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة ﷺ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾))، وكذلك ما أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مالٍ نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً))، وأما دلالة العقل فانظر تفصيلها في كتاب الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (٣٩٢-٤٤٩).

(٢) في (ش): [نحس]، وهو تصحيف.

(٣) (١٤/ب).

(٤) في (ش): [بالإيمان]، وهو تصحيف.

(٥) في (ع): [لترتفع].

(٦) في (ع): [البهائم].

(٧) في (ش): [الحيان]، وهو تصحيف.

(٨) في (ش): [إذ].

(٩) انظر: الموافقات (٢/١٢٣-١٣٥) للشاطبي.

فأوامره سبحانه وحقه الذي أوجبه على عباده وشرائعه التي شرعها لهم هي قرة العيون، ولذة القلوب، ونعيم الأرواح وسرورها، وبه سعادتها[١]، وفلاحها، وكمالها في معاشها ومعادها، بل لا سرور لها، ولا فرح، ولا لذة[٢]، ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [سورة يونس:٥٧-٥٨]، قال أبو سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه: "فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله"[٤] وقال هلال بن يساف[٥]: "بالإسلام الذي هداكم إليه[٦]، وبالقرآن الذي علمكم إياه هو خير مما تجمعون[٧]: من الذهب والفضة"[٨]، وكذلك قال الحسن[١]

---

(١) في (ع): [شفاؤها].

(٢) في (ع): [لذة ولا فرح] بالتقديم والتأخير.

(٣) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، والخدري نسبة إلى الخُدْرَة من الخزرج، صحابي جليل، روى عنه من الصحابة: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وابن عباس، وابن الزبير، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، توفي بالمدينة سنة (٧٤)هـ، وله (٩٤) سنة، ودفن بالبقيع [انظر: الطبقات الكبرى (٢٦٧/٥)، والطبقات لابن خياط (٩٦) معرفة الصحابة (١٢٦٠/٣)].

(٤) أخرجه سعيد بن منصور (بتحقيق د/الحميد) برقم (١٠٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٠٦٦)، والطبري (١٢٤/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٥٨/٦)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٥٩٨).
وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢١)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٠٦٨)، والطبري (١٢٥/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٥٩/٦)، والبيهقي برقم (٢٥٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٥١٢) عن البراء رضي الله عنه، قال الهيثمي في المجمع (٣٦/٧) فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

(٥) هلال بن يساف -ويقال بن أساف- الأشجعي مولاهم، أبو الحسن الكوفي، تابعي ثقة كثير الحديث ، أدرك علياً وروى عن: الحسن بن علي، وأبي الدرداء، وسعيد بن زيد، وروى عنه: منصور بن المعتمر، وعمرو بن مرة، وحصين بن عبد الرحمن، توفي بالكوفة [انظر: التاريخ الكبير (٢٠٢/٨)، والكنى والأسماء (٢١٣/١)، والجرح والتعديل (٧٢/٩)]

(٦) في (ش): [الله].

(٧) في النسختين: [يجمعون].

(٨) أخرجه الطبري (١٢٤/١١)، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم (٢٦٠١) معكوساً فقال "بالكتاب الذي علمكم، وبالإسلام الذي هداكم".

وقتادة[٢] وابن عباس[٣]: فضله الإسلام، ورحمته القرآن[٤]، وقالت طائفة من السلف[٥] : فضله القرآن، ورحمته الإسلام[٦].

---

(١) الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، واسم والده يسار، من سبي ميسان، مولى زيد بن ثابت ﷺ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها، ولد الحسن سنة (٢١)هـ، وهو تابعي روى عن: أنس بن مالك، وابن عمر، وأبي برزة، وروى عنه: الشعبي، ويونس بن عبيد، توفي بالبصرة سنة (١١٠)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (١٥٦/٧)، والتاريخ الكبير (٢٨٩/٢)، ومعرفة الثقات (٢٩٢/١)] وكلامه أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢٩٦/٢)، والطبري (١٢٥/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٥٩/٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٢٥/١١).

(٣) في النسختين: [قال ابن عباس والحسن وقتادة]، وابن عباس هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ببركة دعاء النبي ﷺ له بقوله ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل))، ولد في السنة الثالثة قبل الهجرة، وتوفي بالطائف سنة (٦٨)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٦٥/٢)، والطبقات (٢٨٤) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٣/٥)]. وكلامه ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٠٦٨)، والطبري (١٢٥/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٥٩/٦)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٥٩٦).

(٤) كما أخرجه الثوري (١٢٨) في التفسير، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٠)، والطبري (١٢٥/١١)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٦٠٢) عن هلال بن يساف، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٠٧٠) عن سالم بن أبي الجعد، واختاره الطبري (١٢٤/١١)، وذكر ابن أبي حاتم (١٩٥٨/٦-١٩٥٩) أنه روي مثله عن الحسين وهلال بن يساف وزيد بن أسلم وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وأبي العالية وسالم بن أبي الجعد والضحاك والربيع بن أنس وعكرمة، وقال به ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١٩٧)، والواحدي في الوجيز (٥٠٢/١)، وعزاه ابن القيم في الروح (٢٤٨) لجمهور المفسرين، وأشار إليه في مفتاح دار السعادة (٥٤/١).

(٥) روي عن أبي بن كعب ﷺ كما أخرجه سعيد بن منصور (بتحقيق د/الحميد) برقم (١٠٦٢)، وروي عن ابن عباس ﷺ كما أخرجه سعيد بن منصور (بتحقيق د/الحميد) برقم (١٠٦٣)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٥٩٥) وروي عن هلال بن يساف كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٠٦٧) والطبري (١٢٥/١١)، وروي عن زيد بن أسلم كما أخرجه الطبري (١٢٥/١١، ١٢٦) وابن أبي حاتم (١٩٥٩/٦)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٥٩٩)، وروي عن الضحاك كما أخرجه الطبري (١٢٦/١١)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٦٠٠)، وقال به مقاتل في تفسيره (٩٦/٢)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٩/١٦).

(٦) ومما ورد مسنداً في ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٦٠/٦)، والطبراني في مسند الشاميين برقم (١٠٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٢/٥) عن أيفع بن عبد قال: لما قدم خراج العراق إلى عمر بن الخطاب، خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك، وجعل عمر يقول: الحمد لله، وجعل مولاه يقول: يا أمير المؤمنين هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت ليس هو هذا يقول الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

والتحقيق(١): أن كلاً منهما فيه الوصفان: الفضل والرحمة، وهما الأمران اللذان امتن بهما على رسوله، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [سورة الشورى:٥٢] والله سبحانه إنما رفع من رفع بالكتاب والإيمان(٢)، ووضع من وضع بعدمهما/(٣).

فإن قيل: فقد وقع(٤) تسمية ذلك تكليفاً في(٥) القرآن، كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٦) [سورة الأنعام:١٥٢]؟.

قيل: نعم إنما جاء ذلك في جانب النفي، ولم يُسمِّ سبحانه أوامره ووصاياه وشرائعه تكليفاً قط(٧)، بل سماها روحاً ونوراً وشفاءً وهدىً ورحمةً وحياةً وعهداً ووصيةً ونحو

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [سورة يونس:٥٨]يقول بالهدى والسنة والقرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا مما يجمعون، وأيضاً أخرج ابن أبي شيبة برقم (٣٠٠٦٩)، والطبري (١٢٥/١١) وابن أبي حاتم (١٩٥٩/٦) عن مجاهد قال: القرآن.

(١) قال ابن القيم في الفوائد (١٣٣)"وقد تنوعت عبارات السلف في تفسير الفضل والرحمة، والصحيح أنهما الهدى والنعمة، ففضله هداه، ورحمته نعمته، ولذلك يقرن بين الهدى والنعمة" ثم ذكر أدلة ذلك.

(٢) في (ع): [الأيمان]، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وأخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ح(٨١٧) عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن بن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)).

(٣) (١٥/أ).

(٤) في (ع): [ورد]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [وقع] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٥) في (ش): [من].

(٦) الآية في (ع) آية سورة البقرة: ٢٣٣، وهي قوله تعالى: [﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٢٥/١-٢٦)، ومدارج السالكين (١٦٦/٣).

ذلك(١).

الوجه الرابع(٢): أن أفضل نعيم الآخرة وأجَّله وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الرب جل جلاله، وسماع خطابه، كما في صحيح مسلم(٣) عن صهيب(٤) عن النبي ﷺ: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه))(٥) وفي حديث آخر: ((فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه))(٦)، فبين النبي ﷺ

---

(١) تسميتها بالروح والنور وردت في آية الشورى التي ذكرها ابن القيم، وكذلك تسميتها شفاء ورهدى ورحمة وردت في آية يونس وذكرها المؤلف، وأما تسميتها حياة فوردت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٢٤]، وقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، وأما تسميتها عهداً فهي في قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة يس:٦٠]، وأما تسميتها وصيةً ففي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى:١٣].

(٢) جعل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٦/١) هذا الوجه أصلاً ثانياً يبنى عليه الوجه الثاني، والأصل الأول هو أن نفس الإيمان به ومحبته وعبادته وإجلاله وذكره هو غذاء الإنسان.

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحفاظ، صاحب الصحيح، رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وسمع من قتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل، له (الكنى والأسماء) و(التمييز)، توفي سنة (٢٦١)هـ بنيسابور [انظر: تاريخ بغداد (١٠٠/١٣) للخطيب، وطبقات الحنابلة (٣٣٧/١) لأبي يعلى، والأنساب (٥٠٣/٤) للسمعاني].

(٤) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر من بني النمر، صحابي جليل، أبو يحيى الرومي، أحد السابقين إلى الإسلام، ولد بالموصل، سُمي بالرومي لأن الروم سبوه صغيراً، فنشأ بينهم، فكان ألكن، واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان، ثم أعتقه، ساومته قريش على ترك ماله إن أراد الهجرة فاختار الهجرة فقال له ﷺ ((ربح البيع أبا يحيى)) توفي في المدينة سنة (٣٨)هـ وله (٧٠)سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٢٢٦/٣)، والطبقات (٦٢) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٣١٥/٤)].

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح(١٨١).

(٦) أخرجه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه ابن ماجه في سننه كتاب المقدمة باب فيما أنكرت الجهيمة ح(١٨٤)،

أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم ربهم في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحب إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين فوق ما يحصل لهم من(١) التمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين الْبَتَّة، ولهذا قال سبحانه وتعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [سورة المطففين:١٥-١٦] فجمع عليهم نوعي العذاب: عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سبحانه، كما جمع لأوليائه نوعي النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة، ونعيم التمتع برؤيته، وذكر سبحانه هذه الأنواع الأربعة في هذه السورة فقال في حق الأبرار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [سورة المطففين:٢٢-٢٣] وهضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض(٢)، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى: ينظرون/(١)

وابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة (ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا) ح(٩٧)، والآجري في الشريعة ح(٦١٥)، والدارقطني في الرؤية ح(٦١)، والثعلبي في تفسيره (١٣٣/٨)، وأبو نعيم في صفة الجنة ح(٩١)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (٨٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٦/١) "هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح(٢٣٦٣).

(١) في الأصل: [اللذة والنعيم] وسقطت من النسختين، وهو الصواب، حتى لا يحصل تناقض في الكلام.

(٢) ورد قوله ﴿يَنظُرُونَ﴾ في موضعين من سورة المطففين فالموضع الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، وقد فُسر هنا بالنظر إلى ما أعده الله من النعيم وممن اختاره مقاتل في تفسيره (٤٦٢/٣)، والطبري (١٠٤/٣٠)، والثعلبي (١٥٥/١٠)، والواحدي في الوجيز (١١٨٤/٢)، والبغوي (٣٦٧/٨)، وابن عطية في المحرر (٤٥٤/٥)، والقرطبي (٢٦٤/١٩)، وهذا التفسير لا يعارض تفسيره برؤية الله تعالى لأن أعظم نعيم أعده الله تعالى هو النظر إلى وجهه سبحانه، وقيل: هو النظر إلى أعدائهم كيف يعذبون كما نسبه الثعلبي (١٥٥/١٠) إلى مقاتل، واختاره -في الموضعين من السورة- السمرقندي في تفسيره (٥٣٧/٣)، وأما الموضع الثاني فقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وقد فُسر هنا بالنظر إلى عذاب الكفار كما أخرجه الطبري (١١١/٣٠) والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (١٠١٨) عن ابن عباس، وكذا نسبه إلى ابن عباس -بلا إسناد- النحاس في إعراب القرآن (١٨٤/٥)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار (ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا) عن أبي صالح برقم (٢٥٤)، وأخرج أيضاً برقم(٢٥٥) والطبري (١١١/٣٠)

إلى وجه ربهم(٢)، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم ﴿لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [سورة المطففين:١٥-١٦] وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أوليائه(٣) في الدنيا، وسخروا(٤) منهم بضده في القيامة، فإن الكفار كانوا(٥) إذا مرَّ بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [سورة المطففين:٣٢]، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [سورة المطففين:٣٤] مقابلة لتغامزهم بهم وضحكهم منهم ثم قال: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [سورة المطففين:٣٥] فأطلق النظر ولم يقيده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سبحانه، والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها، وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [سورة المطففين:٣٢] فالنظر إلى الرب سبحانه مرادٌ من هذين الموضعين(٦) ولا بدّ، إما بخصوصه(٧) وإما بالعموم والإطلاق، ومن تأمل السياق لم يجد

عن قتادة قال: "ذكر لنا عن كعب الأحبار كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى" ، كما أخرجه الطبري (١١١/٣٠) عن سفيان بن عيينه، واختاره مقاتل (٤٦٣/٣) والطبري (١١١/٣٠) والسمرقندي في تفسيره (٥٣٧/٣) والثعلبي (١٥٧/١٠) والواحدي في الوجيز (١١٨٥/٢) والبغوي (٣٦٩/٨) ابن عطية في المحرر (٤٥٤/٥)، والرازي في التفسير الكبير (٩٣/٣١)، والقرطبي (٢٦٨/١٩).

(١) (١٥/ب).

(٢) اختاره ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) (٣/٣)، وانتصر له الرازي -في الموضع الأول من السورة- في التفسير الكبير (٨٩/٣١) مستدلاً بقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ لأن النظر المقرون بالنضرة هو رؤية الله تعالى كما قال تعالى في سورة القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال: "ومما يؤكد هذا التأويل أنه يجب الابتداء بذكر أعظم اللذات ، وما هو إلا رؤية الله تعالى"، وممن اختاره في الموضعين من السورة ابن كثير في تفسيره (٣٥٢/٨، ٣٥٤).

(٣) في (ش): [عباده]، وفي (ع): [أعدائهم].

(٤) في (ش): [وسخرهم].

(٥) سقط قوله: [كانوا] من (ش).

(٦) في (ش): [النوعين].

(٧) في (ع): [بالخصوص].

الآيتين تحتملان(١) غير إرادة ذلك خصوصاً أو عموماً.

ف

وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، وكلما كان المحب أعرف بالمحبوب؛ وأشدَّ له محبة(٢)؛ كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم.

الوجه الخامس(٣): أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا نصر ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل، بل الله وحده هو الذي يملك له(٤) ذلك كله، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة فاطر:٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة يونس:١٠٧] وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم /(٥)مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾(٦) [سورة آل عمران:١٦٠] وقال تعالى عن صاحب يس: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [سورة يس:٢٣] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة فاطر:٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن

---

(١) في (ش): [الاثنين يحتملان].

(٢) في النسختين: [محبة له] بالتقديم والتأخير.

(٣) هذا هو الوجه الثالث عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٧/١).

(٤) سقط قوله: [له] من (ع).

(٥) (١٦/أ).

(٦) في (ع) زيادة: [الآية].

دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [سورة الملك:٢٠-٢١] فجمع سبحانه بين النصر والرزق، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوه وينصره، ويجلب له منافعه ويرزقه[١]، فلا بد له من ناصر ورازق، والله وحده هو الذي ينصر ويرزق، فهو الرزاق ذو القوة المتين، ومن كمال فطنة العبد ومعرفته أن يعلم أنه إذا مسه بسوء لم يدفعه عنه غيره، وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه، ويُذكر أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه: "أدرك لي لطيف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك، قال: يا رب وما لطيف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها، فسلني أرفعها، قال: وما خفي اللطف؟ قال: إن[٢] أتتك حبة فاعلم أني ذكرتك بها"[٣]، وقد قال تعالى عن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] فهو سبحانه وحده الذي يكفي عبده وينصره ويرزقه ويكلؤه.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق[٤] أبنا[٥] عمران[٦] قال: سمعت وهباً[٧] يقول:

---

(١) في النسختين: [برزقه].

(٢) في (ع): [إذا].

(٣) لم أقف عليه إلا عند أبي طالب المكي في قوت القلوب (٢/٢٣، ٢٩٨) وفيه: "لطف الفطنة" و"إن أتتك فولة مسوسة فاعلم أني ذكرتك بها"، ونسبه له الغزي في الجد الحثيث فيما ليس بحديث (٢٣٠) نقلاً عن جده صاحب (إتقان ما يحسن من الأحاديث الدائرة على الألسن).

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم اليماني أبو بكر الصنعاني، ولد سنة (١٢٦)هـ، روى عن: معمر بن راشد، وسفيان الثوري، وابن جريج، وروى عنه: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، له (المصنف) و(تفسير القرآن)، توفي سنة (٢١١)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٥/٥٤٨)، والتاريخ الكبير (٦/١٣٠)، والكنى والأسماء (١/١٢٦)].

(٥) في النسختين: [أخبرنا].

(٦) في حاشية (ع) كتب الناسخ: [لعله: معمر]، وسيأتي إخراج ابن المبارك له من طريق معمر عن محمد بن عمرو عن وهب، وعمران هو ابن عبد الرحمن بن مرثد أبو الهذيل روى عن وهب وزياد بن فيروز، وروى عنه هشام بن يوسف وغوث بن جابر، وثقه يحيى بن معين [انظر: التاريخ الكبير (٦/٤٢١)، والكنى والأسماء (٢/٨٨٥)، والجرح والتعديل (٦/٣٠١)]

(٧) وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله الصنعاني ويقال الذماري، تابعي، روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وأخيه همام بن منبه، وروى عنه: عمرو بن دينار، والمغيرة بن حكيم، توفي سنة (١١٤)هـ، وله ثمانون سنة

قال الله عز وجل في بعض كتبه: ((بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن فإني أجعل له من ذلك مخرجاً، ومن لم يعتصم بي فإني[١] أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء، ثم أكله إلى نفسه، كفى بي لعبدي مالاً، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه))[٢]، قال أحمد: وحدثنا هاشم بن القاسم[٣] ثنا أبو سعيد المؤدب[٤] حدثنا[٥] من سمع عطاء الخراساني[٦] قال: لقيت وهب بن منبه وهو

[انظر: الطبقات الكبرى (٥/٥٤٤)، والتاريخ الكبير (٨/١٦٤)، والكنى والأسماء (١/٤٧٤)]

(١) سقط قوله: [فإني] من (ش).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٩٦) من طريق سيار عن جعفر عن عمران أبي البديل عن وهب (هكذا في المطبوع ولعله الهذيل) عن وهب بن منبه، وقد راجعت نسخة الكتاب المخطوطة في المكتبة الزاهدية برقم (٢٤١/ف) صفحة (٩٩) فوجدته (أبو البديل) كالمطبوع، كما أخرجه ابن المبارك برقم (٣١٨) من طريق معمر عن محمد بن عمرو عن وهب، وأبو داود في الزهد ح(٣) من طريق أبي هاشم عن عبدالصمد عن وهب، والدولابي في الكنى والأسماء برقم (١٩٨٠) بمثل إسناد الإمام أحمد في الزهد، لكنه وقف به عند عمران، وابن أبي حاتم في التفسير (٩/٢٩١٠) بمثل إسناد أبي داود، وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٦، ٣٨)، ونقله ابن القيم في عدة الصابرين (١٠٢) وفيه قول وهب:"وجدت في كتاب آل داود"، وابن كثير في تفسيره (٣/٣٧٢) وفيه: "وقال وهب بن منبه: قرأت في الكتاب الأول..."، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٠٣) إلى الإمام أحمد.

(٣) هاشم بن القاسم أبو النضر الليثي، ويقال التميمي الخرساني، يلقب بقيصر، سكن بغداد، صاحب سنة ثقة، وكان أهل بغداد يفخرون به، روى عن شعبة وشيبان والأشجعي، وروى عن الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية ويحيى بن معين توفي سنة (٢٠٧)هـ [انظر: التاريخ الكبير (٨/٢٣٥)، ومعرفة الثقات (٢/٣٢٣)، والكنى والأسماء (٢/٨٤٢)]

(٤) محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، أبو سعيد المؤدب، ثقة بصري، روى عن هشام بن عروة ويحيى بن سعيد والأعمش، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدى وأبو النضر هاشم بن القاسم وأبو داود الطيالسي، كان مع أبي جعفر المنصور مؤدباً لأبنائه ثم لأبناء ابنه المهدي، توفي في خلافة الهادي موسى بن المهدي [انظر: الطبقات الكبرى (٧/٣٢٦)، والتاريخ الكبير (١/٢٢٣)، والجرح والتعديل (٨ /٧٦)]

(٥) سقط قوله: [حدثنا] من (ش).

(٦) أبو أيوب الخراساني عطاء بن أبي مسلم، اسم والده ميسرة كان مولى المهلب بن أبي صفرة، ولد سنة (٥٠)هـ، من أهل بلخ، سكن الشام، توفي سنة (١٣٣)هـ، روى عن أنس وابن عباس وابن المسيب، وروى عنه ابن جريج ومالك [انظر :العلل ومعرفة الرجال (٣/١٤٨)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/٤١٠)، والجرح والتعديل (٦/٣٣٤)].

يطوف/(١) بالبيت فقلت له: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: ((يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي -أعرف ذلك من نيته- فتكيده السماوات السبع ومن فيهن؛ والأرضون السبع ومن فيهن؛ إلا جعلت له من بينهن مخرجاً، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم مني(٢) عبدٌ من عبادي بمخلوق دوني -أعرف ذلك من نيته- إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي وادٍ هلك))(٣).

وهذا الوجه أظهر للعامة من الذي قبله، ولهذا خوطبوا به في القرآن أكثر من الأول، ومنه دعت الرسل إلى الوجه الأول، وإذا تدبر اللبيب القرآن وجد الله سبحانه يدعو عباده بهذا الوجه إلى الوجه الأول، وهذا الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به ودعاءه ومسألته دون ما سواه، ويقتضي أيضاً: محبته وعبادته لإحسانه إلى عبده وإسباغ نعمه عليه، فإذا عبدوه وأحبوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه؛ دخلوا منه إلى الوجه الأول.

ونظير ذلك: من ينزل به بلاء عظيم، أو فاقة شديدةٌ، أو خوف مقلق، فجعل يدعو الله سبحانه ويتضرع إليه حتى فتح له من لذيذ مناجاته وعظيم(٤) الإيمان به والإنابة إليه ما هو

---

(١) (١٦/ب).

(٢) سقط قوله: [مني] من (ع).

(٣) لم أقف عليه عند الإمام أحمد، وقد صرّح ابن القيم في الفوائد (٥٤) والسيوطي في الدرالمثور (١٩٩/٨) بنسبته لكتاب الزهد للإمام أحمد، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٦/٤)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٥/٩) عن عطاء عن وهب، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (النسخة المسندة) (٧١٣/٢) عن الزهري، وقد رُوي مرفوعاً من حديث كعب بن مالك كما في الفوائد لتمام الرازي برقم (٥٩٠)، ومختصر تاريخ دمشق (١٢٠/٨)، ونسبه المناوي إلى الديلمي في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ح(٢٢٩)، وروي بنحوه مرفوعاً من حديث علي كما في أمالي الشجري (٢٩٤/١)، وحكم عليه الألباني في الضعيفة بالوضع ح(٦٨٨) وقال: "أخرجه تمام الرازي في الفوائد من طريق يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعاً، قلت: وهذا موضوع ، المتهم به ابن السفر ، فإنه ممن يضع الحديث كما تقدم، ولعله من الإسرائيليات التي تلقاها كعب بن مالك عن بعض مسلمة أهل الكتاب، ثم نسبه هذا الكذاب إلى رسول الله ﷺ والحديث عزاه السيوطي في الجامع لابن عساكر وحده، وهذا قصور واضح، ولم يتكلم عليه شارحه المناوي بشيء".

(٤) في (ش): [وعِظَم].

أحب إليه من تلك الحاجة[١] التي قصدها أولاً؛ ولكنه[٢] لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يطلبه ويشتاق إليه، وفي نحو ذلك قال القائل[٣]:

جزى اللهُ يومَ الروعِ خيراً فإنه ... أرانا على عِلاَّتِه أمَّ ثابتِ

أرانا مَصُونات الحجالِ[٤] ولم نَكُنْ ... نَرَاهُنَّ إلا عندَ نَعْتِ النَّواعتِ

الوجه السادس[٥]: أنَّ تعلق العبد بما سوى الله تعالى مضرة عليه إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته، غير مستعين به على طاعة الله، فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته؛ ضرّه ذلك، ولو أحبّ ما[٦] سوى الله ما أحبّ؛ فلا بد أن يسلبه ويفارقه، فإن أحبه لغير الله فلابد أن تضره محبته ويعذب بمحبوبه إما في الدنيا وإما في الآخرة، والغالب أنه يعذب به[٧] في الدارين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٤-٣٥] وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ

---

(١) في (ع): [الحاجات].

(٢) في (ع): [لكنه].

(٣) البيتان من الطويل، لابن ميادة كما في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب (٧٦/١)، وفيه في البيت الأول (يوم البين)، وفي الثاني (أرانا رقيقات الخدور) (إلا بانْتِعَاتِ النواعت)، وقد ورد الأول منهما ورد بلا نسبة في ديوان المعاني (٢٨٣/١) لأبي هلال العسكري وفي نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٥٩/٢) للنويري، وفيهما (يوم البين)، وورد منسوباً إلى أعرابي في نثر الدر في المحاضرات (٥٩/٥) لأبي سعد الآبي، وأما كلا البيتين فوردا في وفيات الأعيان (١٢٢/٣) منسوبين إلى أعرابي وفيه في البيت الأول (يوم البين)، وفي الثاني (أرانا ربيبات الخدور) (إلا بانتعات النواعت).

(٤) في (ع): [الحجاب]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [الحجال] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٥) هذا هو الوجه الرابع عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٨/١).

(٦) سقطت [ما] من النسختين.

(٧) سقطت [به] من النسختين.

وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة التوبة:٥٥] ولم يصب من قال: إن الآية على التقديم والتأخير كالجرجاني(١) حيث قال: "ينتظم قوله في الحياة الدنيا بعد فصل آخر ليس بموضعه، على تأويل: ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا(٢) إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة"، وهذا القول يروى عن ابن عباس وهو منقطع(٣)، واختاره قتادة(٤)، وجماعة(٥)،

---

(١) الحسن بن يحيى بن نصر أبو علي الجرجاني، كان مسكنه بجرجان بباب الخندق في سكة تعرف بجماجم (هكذا تكتب وينطقها أهل جرجان جماجمو كما ذكر ياقوت) ولذا يقال له الجماجمي، كان من أهل السنة، روى عن العباس بن يحيى العقيلي، وروى عنه أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي، والحسن بن محمد بن حبيب، له (نظم القرآن)، [انظر: تاريخ جرجان برقم (٢٥٥)، والأنساب (٨٠/٢)، ومعجم البلدان (١٥٩/٢)]، هذا الراجح -والله أعلم- وليس عبدالقاهر الجرجاني المشهور، لأن ابن القيم صرّح باسمه في كتاب الروح (١٦٨) حينما نقل عنه، وصرّح بكنيته في الفوائد (٨٩)، وكان يكثر النقل عنه، وكتابه (نظم القرآن) مفقود، وينقل عنه كثير من المفسرين كالثعلبي والسمعاني والبغوي، كما إن مطلع نقل ابن القيم عنه يدل على أنه منقول من كتاب النظم، وهو قوله (ينتظم)، ولم أجده فيما وقفت عليه من كتب عبد القاهر الجرجاني.

(٢) سقط قوله: [الدنيا] من (ع).

(٣) أخرجه الطبري (١٥٣/١٠) وابن أبي حاتم (١٨٥٨/٦) من طريق أبي صالح عن معاوية عن علي عن ابن عباس قال: "إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة"، وعلي هو ابن أبي طلحة الوالبي، ولم يسمع من ابن عباس بإجماع الحفاظ، بل أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وكان عنده صحيفة تعرف بصحيفة علي بن أبي طلحة، قال ابن حجر في الأمالي المطلقة (٦٢) "بعد أن عرفت الواسطة، وهي معروفة بالثقة، حصل الوثوق به، وقد اعتد البخاري في أكثر ما يجزم به معلقاً عن ابن عباس في التفسير على نسخة معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة"، فصحيفته من أصح الطرق عن ابن عباس [انظر: فتح الباري (٤٣٨/٨)، وتلخيص الحبير (١١٠/٤)، والإتقان في علوم القرآن (٢٣٧/٤)] وأشار ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٢٠٨) إلى رواية أخرى عن الكلبي عن ابن عباس قال: "ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا؛ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة"، والكلبي هو محمد بن السائب متهم بالكذب [انظر: الضعفاء (٧٦/٤) للعقيلي، والجرح والتعديل (٢٧٠/٧)، والمجروحين (٢٥٣/٢)].

(٤) أخرجه الطبري (١٥٣/١٠)، وابن أبي حاتم (١٨١٣/٦، ١٨٥٨) عن قتادة قال: "هذه من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة".

(٥) نسب هذا القول إلى مجاهد والسدي كما في تفسير الثعلبي (٥٤/٥)، وزاد المسير (٤٥٢/٣)، والتفسير الكبير (٧٤/١٦)، والبحر المحيط (٥٥/٥)، وممن قال به: الفراء في معاني القرآن (٤٤٢/١)، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٢٠٨)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤٥٤/٢) وجوّز المعنى الثاني (قول الحسن)، والنحاس في معاني القرآن (٢١٨/٣)، وقال: "وهذا قول أكثر أهل العربية"، وقال بجواز المعنى الثاني (قول

وكأنهم لما أشكل عليهم وجه تعذيبهم بالأموال والأولاد في الدنيا؛ وأن سرورهم ولذتهم ونعيمهم بذلك فروا إلى التقديم والتأخير.

وأما الذين رأوا أن الآية على وجهها ونظمها، فاختلفوا في هذا التعذيب، فقال الحسن البصري: "يعذبهم بأخذ الزكاة منها، والإنفاق في الجهاد"(١)، واختاره ابن جرير(٢) وأوضحه فقال: "العذاب بها(٣) إلزامهم بما أوجب الله عليهم فيها من حقوقه وفرائضه، إذ(٤) كان يؤخذ منه ذلك وهو غير طيِّب النفس، ولا راجٍ من الله جزاءً ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً، بل على صغر منه وكره"(٥)، وهذا(٦) أيضاً عدولٌ عن المراد بتعذيبهم بها في الدنيا(٧)؛ وذهاب عن مقصود الآية.

وقالت طائفة: تعذيبهم بها أنهم [يتعرضون](٨) بكفرهم لغنيمة أموالهم وسبي أولادهم، فإن هذا حكم الكافر، وهم في الباطن كذلك(٩)، وهذا أيضاً من جنس(١) ما قبله، فإن الله

الحسن)، واختاره أيضاً السمرقندي (٢/٦٥، ٧٩)، والعمراني في الانتصار (٢/٤٧٧) وقال: "وهذا قول أكثر المفسرين"، والزركشي في البرهان (٣/٢٨٢).

(١) أخرجه الطبري (١٠/١٥٣)، واختاره القرطبي (٨/١٦٤)، وابن كثير (٤/١٦٣).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، إمام المفسرين، ولد بطبرستان، سنة (٢٢٤)هـ، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدداً من البلدان، له (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) و(تاريخ الأمم والملوك) و(تهذيب الآثار)، توفي سنة (٣١٠)هـ، في بغداد [انظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (٢/٦٣٩) للربعي، وتاريخ بغداد (٢/١٦٢)، والأنساب (٤/٤٦)]

(٣) سقطت [بها] من (ش).

(٤) في النسختين: [إذا].

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/١٥٣، ٢٠٧).

(٦) في (ع): [وهو].

(٧) في النسختين: [في الدنيا بها] بالتقديم والتأخير.

(٨) في الأصل: [يرضون]، والصواب ما أثبته من (ع)، وفي (ش): [يعرضون].

(٩) على هذا المعنى تكون الآية في المشركين، وقد ذكر هذا القول الجصاص في أحكام القرآن (٤/٣٢١)، وقال الماوردي في تفسيره (٢/٣٧٢): "قاله بعض المتأخرين"، ومن الأقوال في معنى الآية قول ابن زيد: "إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها، هي لهم عذاب، وهي للمؤمنين أجر" وقد أخرجه الطبري (١٠/١٥٣) (١١/١١) (٢٧/٣٧) وابن أبي حاتم (٦/١٨١٣)، واختاره مقاتل كما في تفسيره (٢/٥٢)، والواحدي في الوجيز (١/٤٦٨)، وانتقده ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٤٥) فقال: "وهذا القول وإن كان

سبحانه أقر المنافقين وعصم أموالهم وأولادهم بالإسلام الظاهر وتولى سرائرهم، فلو كان المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه: من غنيمة أموالهم، وسَبْي أولادهم، فإن الإرادة ههنا كونية بمعنى المشيئة، وما شاء الله كان ولابد، وما لم يشأ لم يكن(٢).

والصواب -والله أعلم- أن يقال: تعذيبهم(٣) بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا و[محبيها](٤) ومؤثريها على الآخرة(٥)، بالحرص(٦) على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه، وهو حريص

يستغرق قول الحسن، فإن قول الحسن يتقوى تخصيصه بأن تعذيبهم بإلزام الشريعة؛ أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا، وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة لهم".

(١) في (ع): [معنى].

(٢) إرادة الله تعالى نوعان: إرادة خلقية قدرية كونية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، كإجماع المسلمين على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهي المستلزمة لوقوع المراد، فما أراده كوناً فلا بد من وقوعه، وهذه الإرادة مقارنة للقضاء، والقدر، والخلق، والقدرة، ولا تستلزم هذه الإرادة المحبة ، فليس كل ما شاءه الله وأراده كوناً يكون محبوبا له، وإرادة دينية أمرية شرعية متضمنة للمحبة والرضا، لا تتعلق إلا بالطاعات، ولا تستلزم وقوع المراد؛ فقد يقع مرادها، وقد لا يقع، إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة، وهي المقارنة للأمر، والنهي، والحب، والبغض، والرضا، والغضب [انظر: منهاج السنة (١٦/٣) (٧٢/٧)، ومجموع الفتاوى (٤١١/٢-٤١٢) (٨ / ١٣١، ١٨٨-١٨٩، ٤٤٠) (٣٥٥/١١) (٦٤/١٧) (١٣٢/١٨)، والاستقامة (٤٣٣/١)، وشفاء العليل (٣٢، ٤٨، ٢٨٠)].

(٣) في (ع): [يعذبهم].

(٤) في الأصل و(ش): [محبتها]، والصواب ما أثبته من (ع).

(٥) اختار هذا القول البيضاوي في تفسيره (١٥١/٣)، والسعدي (٣٤٠)، وذكره وجهاً السُلمي في حقائق التفسير عن بعضهم (٢٧٨/١)، وذكره الماوردي في تفسيره (٣٧٢/٢)، وأبو المظفر السمعاني (٣١٨/٢)، والبغوي (٥٩/٤)، والقرطبي (١٦٤/٨)، والخازن (١٠٦/٣)، وقال: "وأورد على هذا القول بأن هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم، فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا؟ وأجيب عن هذا الإيراد: بأن المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب؛ وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة؛ وإنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا؛ فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا، وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة له؛ وإنه ليس فيها ثواب؛ فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا، فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين".

(٦) في (ش): [بالرخص]، وهو تصحيف.

بجهده على تحصيلها/(١)، والعذاب هنا(٢) هو الألم والمشقة والتعب، كقوله صلى الله عليه وسلم ((السفر قطعة من العذاب))(٣)، وقوله: ((إن الميت يعذب(٤) ببكاء أهله عليه))(٥) أي يتألم ويتوجع، لا أنه يعاقب بأعمالهم(٦)، وهكذا من الدنيا كل همه أو أكبر همه كما قال

---

(١) (١٧/ب).

(٢) في (ع): [هاهنا].

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ البخاري في كتاب الحج باب السفر قطعة من العذاب ح(١٧١٠)، وفي كتاب الجهاد والسير باب السرعة في السير ح(٢٨٣٩)، وفي كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام ح(٥١١٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله ح(١٩٢٧)، وممن فسر العذاب بالألم والمشقة والتعب في هذا الحديث ابن عبدالبر في الاستذكار (٥٣٧/٨)، وابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٥٧/٣)، والنووي في شرح مسلم (٧٠/١٣)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٧٤/٢٤)، وابن القيم في عدة الصابرين (٨٧)، والروح (٨٨)، وإعلام الموقعين (١٣٠/٢)، وابن حجر في الفتح (٦٢٣/٣).

(٤) في (ع): [ليعذب]، وكلاهما من ألفاظ الصحيحين.

(٥) أخرجه من **حديث ابن عمر** ــ البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)) إذا كان النوح من سنته ح(١٢٢٦)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ح(٩٢٧) (٩٣٠)، ومن **حديث عمر** ــ عند البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت ح(١٢٣٠)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ح(٩٢٧)، ومن **حديث أبي موسى الأشعري** ــ في قصة دخول صهيب ﷺ على عمر بن الخطاب ﷺ لما أصيب عند البخاري في كتاب الجنائز باب قول النبيﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ح(١٢٢٨)، ومسلم في كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ح(٩٢٧).

(٦) هذا أحد مسالك العلماء في بيان المراد بالتعذيب الوارد في الحديث، وممن ذهب إليه الطبري حيث قال -فيما نقله ابن بطال في شرح البخاري (٢٧٤/٣)- "والدليل على أن بكاء الحي على الميت تعذيب من الحي له، لا تعذيب من الله، ما رواه عوف عن جلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال: ((إن أعمالكم تعرض على أقربائكم من موتاكم، فإن رأوا خيرًا فرحوا به، وإن رأوا شرًا كرهوه، وإنهم ليستخبرون الميت إذا أتاهم: من مات بعدهم، حتى إن الرجل ليسأل عن امرأته هل تزوجت أم لا))"، وهذا الإسناد صحيح إلى الطبري كما ذكر الحافظ في الفتح (١٥٥/٣)، كما رجحه القاضي عياض في إكمال المعلم (٣٧٢/٣) مستدلاً بحديث قيلة بنت مخرمة الذي أخرجه الطبراني في الكبير ح(١٠٩٥) وغيره ((إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبُه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم)) وقال عبدالحق الأشبيلي في العاقبة (١٦٥) "وإسناده لا بأس به"، وقال الهيثمي في المجمع (١٢/٦) رجاله ثقات، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥٥/٣)، واختاره الأشبيلي في العاقبة (٢١٤)، وشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٤٢/١٨) (٣٧٠/٢٤-٣٧٥) ووصف الأقوال الأخرى بأنها ضعيفة جداً، وللتوسع في المسألة ينظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين

النبيﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أنس[١]: ((من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع [له][٢] شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، و لم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))[٣].

(٢/٤٣٢-٤٤٩).

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب من بني النجار أبو حمزة الخزرجي، صحابي جليل، أمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وعمه أنس بن النضر ﷺ، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ودعا له فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)) انتقل إلى البصرة، وتوفى بها سنة (٩٣)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (١٧/٧)، والطبقات لابن خياط (٩١)، والآحاد والمثاني (٢٣٣/٤)].

(٢) في الأصل: [عليه]، والصواب ما أثبته من (ش)، وهو لفظ الأكثرين الترمذي والدارمي وغيرهما، وفي (ع): [الله]، وهو لفظ الإمام أحمد وغيره.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ح(٢٤٦٥)، ووكيع في الزهد (٤٠٧/١)، وهناد في الزهد ح(٦٦٩)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ح(٣٥٣)، وابن أبي عاصم في الزهد ح(١٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٧/٦)، والشجري في أماليه (٢١٥/٢، ٢٢٩)، والبغوي في شرح السنة (٤١٤٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٧/٤) "رواه الترمذي عن يزيد الرقاشي عنه، ويزيد قد وثق ولا بأس به في المتابعات، ورواه البزار ولفظه قال رسول اللهﷺ ((من كانت نيته الآخرة جعل الله تبارك وتعالى الغنى في قلبه، وجمع له شمله، ونزع الفقر من بين عينيه، وأتته الدنيا وهي راغمة، فلا يصبح إلا غنياً، ولا يمسي إلا غنياً، ومن كانت نيته الدنيا؛ جعل الله الفقر بين عينيه، فلا يصبح إلا فقيراً، ولا يمسي إلا فقيراً)) ورواه الطبراني بلفظ تقدم في الاقتصاد"، وضعّف إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ح(٣٩٨٦)، وقال الألباني في الصحيحة ح(٩٤٩) "سكت عنه الترمذي، وهو إسناد ضعيف لكنه حسن في المتابعات"، وقد أخرجه باللفظ الذي ذكره المنذري هناد في الزهد ح(٦٦٧)، والبزار في المسند ح(٦٧٠٤) وقال: "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الحسن عن أنس إلا إسماعيل بن مسلم، تفرد به أنس"، والبيهقي في الشعب ح(١٠٣٤١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/١٠) "رواه البزار، وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف"، ومن الألفاظ التي ورد بها ((من كانت الدنيا همه وسدمه؛ لها يشخص وإياها ينوي؛ جعل الله عز وجل الفقر بين عينيه، وشتت عليه ضيعته، و لم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه وسدمه؛ لها يشخص وإياها ينوي؛ جعل الله عز وجل الغنى في قلبه، وجمع عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي صاغرة)) وقد أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ح(٣٥٤)، والحربي في غريب الحديث (٥١٦/٢)، والطبراني ح(٥٩٩٠) وقال: "لم يرو هذا الحديث عن همام إلا داود بن المحبر تفرد به محمد بن يحيى الأزدي"، وأصح شواهده **حديث زيد بن ثابت** ــ بلفظ: ((من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا ح(٤١٠٥)، والدارمي في كتاب المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء ح(٢٢٩)، والإمام أحمد في المسند ح(٢١٦٣٠)، وفي الزهد (٣٣)، والطيالسي في المسند

ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت[١] الشمل، وتفرق[٢] القلب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب؛ على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه، وفي الترمذي أيضا عن أبي هريرة[٣] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تبارك وتعالى: ((ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلا و لم أسد فقرك))[٤] وهذا أيضا من أنواع العذاب اشتغال القلب

ح(٦١٧)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ح(٣٥٢)، وابن أبي عاصم في الزهد ح(١٦٣)، وابن حبان في صحيحه ح(٦٨٠)، والطبراني في الأوسط ح(٧٢٧١)، والكبير ح(٤٨٩١)، وتمام في فوائده ح(١٤٦١)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٤١٨/١)، والبيهقي في الشعب (٢٨٨/٧)، والشجري في أماليه (٨٥/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤٥/٤٣)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٦/٤): "رواه ابن ماجه ورواته ثقات والطبراني"، وجوّد إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ح(٣٩٨٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٧/١٠): "روى ابن ماجه بعضه، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا"، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢١٢/٤): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، ووافقه الألباني في الصحيحة ح(٩٥٠)، كما أن له شواهد أخرى لا تخلو من مقال عن ابن عباس، وأبي الدرداء، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(١) في (ع): [تشتت].

(٢) في (ع): [تفريق].

(٣) أبو هريرة الدوسي، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وأشهر ما قيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: عبد الله بن عامر، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس أو عبد نهم فغيّره ﷺ إلى عبد الرحمن، وقيل غيّره إلى: عبد الله،كني بأبي هريرة لأنه وجد أولاد هرة فحملها في كمه، فقيل له: ما هذه، فقال: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة، كان إسلامه سنة خيبر سنة سبع من الهجرة، وفيها قدم على رسول الله ﷺ، كان من الحفاظ المواظبين على صحبة رسول الله ﷺ في كل وقت على ملء بطنه، توفي سنة (٥٧)هـ بالمدينة [انظر: الطبقات الكبرى (٣٢٥/٤)، الطبقات (١١٤) لابن خياط، التاريخ الكبير (١٣٢/٦)].

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب ح(٢٤٦٦)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب الهم بالدنيا ح(٤١٠٧)، والإمام أحمد في المسند ح(٨٦٨١)، وفي الزهد (٣٦)، وابن أبي شيبة ح(٣٤٦٩٩)، وابن حبان في صحيحه ح(٣٩٣)، والحاكم في المستدرك ح(٣٦٥٧)، والبيهقي في الشعب ح(١٠٣٣٩)، والشجري في أماليه (٢٨٥/٢)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ح(١٩١٤)، وله شاهد **من حديث معقل بن يسار** بلفظ: ((يا بن آدم: تفرغ لعبادتي، أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً، يا بن آدم: لا تباعد مني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً)) أخرجه الطبراني في الكبير ح(٥٠٠)، وابن عدي في الكامل (٣٠١/٣)، والحاكم في المستدرك ح(٧٩٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٣/٢)، قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ح(١٣٤٠) "هذا حديث لا يصح"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٣/١٠):

والبدن بتحمل أنكاد الدنيا، ومحاربة[١] أهلها إياها، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض[٢] السلف: "من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب"[٣]، ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: همٌّ لازم، وتعبٌ دائم، وحسرةٌ لا تنقضي[٤]، وذلك أن محبَّها لا ينال منها شيئا إلا

"رواه الطبراني وفيه سلام الطويل وهو متروك"، قال الألباني في الصحيحة ح(١٣٥٩): "ووجدت للحديث شاهداً قوياً عن معقل بن يسار...أخرجه الحاكم من طريق سلام بن أبي مطيع حدثنا معاوية بن قرة عنه، وقال : "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وتابعه سلام الطويل عن زيد عن معاوية بن قرة به، أخرجه ابن عدي في ترجمة سلام هذا وهو متروك، وزيد العمي ضعيف"، كما أخرجه عبدالرزاق في المصنف ح(٢٠٣٠٥) ووقف به عند ليث بن أبي سليم وقال: يرفع الحديث، كما أخرجه هناد في الزهد برقم (٦٦٥) من قول شمر بن عطية قال: يقول الله تبارك وتعالى، وبرقم (٦٦٦) عن خيثمة قال: في التوراة مكتوب "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي..." وهو كذا عند أبي نعيم في الحلية (١١٦/٤)، وأخرجه أحمد في الزهد (٩٨) وأبو نعيم في الحلية (٩٢/٥) عن أبي سنان قال يقول الله عز وجل:...".

(١) في (ع): [مجاذبة].

(٢) سقط قوله: [بعض] من (ش).

(٣) هذا القول ورد بلفظ "من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب"، واختلف في نسبته؛ فالأكثر على أن القائل هو عبد الرحمن بن أبي بكرة، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة، والمتوفى سنة (٩٦)هـ، كما في الحيوان (١٩٣/٥) و(٥٠٦/٦) للجاحظ، وقد أخرج ابن أبي الدنيا في الاعتبار برقم (٢١) عن عمر بن بكير عن شيخ من قريش قال: قام إلى سليمان زيادُ بن عثمان بن زياد لما توفي ابنه أيوب، فقال: يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكرة كان يقول: "من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب"، وساق هذه القصة نفسها المبرد في التعازي والمراثي (١٠)، وابن عبد ربه في العقد الفريد (٣٧١/٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٩/١٩)، وابن أبي جرادة في بغية الطلب (٣٩٣٣/٩)، وجعله ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢٠/٣) من أمثال أكثم بن صيفي.

(٤) يشهد لهذا حديثٌ أخرجه الطبراني في الكبير ح(١٠٣٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/٨)، والشهاب في المسند ح(٥٤١)، والشجري في أماليه (٢٢٦/٢)، بإسناد حسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٨٥/٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ح(٤٠٠٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(٦٦٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، فالدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه))، وما أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٣٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢٩/٤٧) عن شعيب بن صالح قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: ((ما سكنت الدنيا في قلب عبد إلا وأُليط قلبه منها بثلاث: شغلٍ لا ينفك عناؤه، وفقرٍ لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه، الدنيا طالبةٌ ومطلوبةٌ؛ فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه)).

طمحت نفسه إلى ما فوقه، كما في الحديث الصحيح عن النبيﷺ: ((لو كان لابن آدم واديان من مال[١] لابتغى لهما ثالثاً))[٢] وقد مثل عيسى بن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا[٣].

وذكر ابن أبي الدنيا[٤] أن الحسن كتب إلى عمر بن عبد العزيز[٥] أما بعد: "فإن الدنيا دار ظعن[٦] ليست بدار إقامة، إنما أنزل إليها آدم عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين/[٧]، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها[٨]، لها في كل حين قتيل، تذل من أعزها، وتفقر من

---

(١) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [ذهب]، وهو لفظ الترمذي والإمام أحمد وغيرهما.

(٢) أخرجه من **حديث ابن عباس** ــ البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال ح(٦٠٧٢) (٦٠٧٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ح(١٠٤٩)، ومن **حديث عبد الله بن الزبير** ــ البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال ح(٦٠٧٤)، ومن **حديث أنس بن مالك** ــ مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ح(١٠٤٨)، ومن **حديث أبي موسى الأشعري** ــ مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ح(١٠٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٣٤٢) قال قرأت في كتاب داود بن رشيد حدثني أبو عبد الله -هو الصوفي- قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: «طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله»، كما أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (١٤١٨)، والخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (٤٩٣/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣١/٤٧)، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (٢٠٣).

(٤) عبد اللّه بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس المشهور بابن أبي الدنيا أبي بكر القرشي، ولد سنة (٢٠٨)هـ، مؤدِّب أولاد الخلفاء، روى عن سعيد بن سليمان الواسطي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وخالد بن خداش المهلبي، وروى عنه الحارث بن أبي أسامة، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وعبيد الله بن عبد الرحمن السكري، له (ذم الدنيا) و(الورع) وغيرها كثير، توفي سنة (٢٨١)هـ [انظر: الجرح والتعديل (١٦٣/٥)، وتاريخ بغداد (٨٩/١٠)، وطبقات الحنابلة (١٩٢/١)]

(٥) الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي أبو حفص الأموي، ولد بالمدينة سنة (٦١)هـ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي الخلافة سنة (٩٩)هـ، وتوفي سنة (١٠١)هـ، وله تسع وثلاثون سنة، بالشام، ومدة خلافته تسعة وعشرون شهراً، وسار فيها سيرة عطرة، كسيرة الخلفاء الراشدين [انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، والطبقات الكبرى (٣٣٠/٥)، والتاريخ الكبير (١٧٤/٦)].

(٦) في (ع) زيادة: [و].

(٧) (١٨/أ).

(٨) في (ع): [فقر].

جمعها، هي كالسُّم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فكن فيها كالمداوي جراحه؛ يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، ويصبر على شدة [الدواء](١) مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدار الغرّارة الخداعة الختالة(٢) التي قد تزينت بخدعها؛ وفتنت بغرورها، وخيلت(٣) بآمالها، وتشوفت(٤) لخطابها(٥)، فأصبحت كالعروس المجلوة، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته؛ فاغتر وطغى ونسي المعاد؛ فشغل بها لبه حتى زلت عنها قدمه، فعظمت(٦) ندامته وكثرت(٧) حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه(٨) وحسرات الفوت، وعاشق لم ينل منها بغيته فعاش بغصته، وذهب بكمده، ولم يدرك منها ما طلب، ولم تسترح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد، فكن أسرَّ(٩) ما تكون(١٠) فيها، أحذر ما تكون(١١) لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، وصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء(١٢)، سرورها مشوب بالحزن، أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، فلو كان ربها(١٣) لم يخبر عنها [خبراً](١٤)؛

---

(١) في الأصل و(ش): [الداء]، والصواب ما أثبته من (ع)، ليستقيم الكلام، ويدل عليه قوله: [كالمداوي جراحه]، وهو كذا عند الآجري وأبي نعيم.

(٢) في (ع): [الخيالة].

(٣) في (ع): [ختلت].

(٤) في (ع): [تشوقت].

(٥) في (ع): [بحطامها].

(٦) في (ع) زيادة: [عليها].

(٧) في النسختين: [كبرت]، ولفظ الفسوي في المعرفة والتاريخ كالأصل.

(٨) سقط قوله: [وألمه] من (ش).

(٩) في (ش): [أشد]، ولفظ الفسوي والآجري وأبي نعيم كالأصل.

(١٠) في (ش): [يكون].

(١١) في (ش): [يكون].

(١٢) في (ع): [ينتهي إلى الفناء].

(١٣) في (ع): [ربنا].

(١٤) في الأصل: [خبزاً]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من النسختين؛ ليستقيم الكلام، وكذا عند أبي نعيم.

ولم يضرب لها مثلاً؛ لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله فيها واعظ، وعنها زاجر، فمالها عند الله قدر ولا وزن، وما[١] نظر إليها منذ خلقها[٢]، ولقد عرضت على نبينا ﷺ -بمفاتيحها وخزائنها لا تنقصه عند الله جناح بعوضة- فأبى أن يقبلها[٣]، كره[٤] أن يحب ما أبغض[٥] خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، فزواها عن الصالحين [اختباراً][٦]، وبسطها لأعدائه اغتراراً[٧]، فيظن[٨] المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها، ونسى ما صنع الله برسوله ﷺ حين شد الحجر على بطنه[٩]"[١]، وقال الحسن

---

(١) في (ع): [ولا].

(٢) ورد هذا في أحاديث لا تصح منها ما روى ابن أبي الدنيا بسنده في ذم الدنيا ح(٤٠) عن موسى بن يسار أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: ((إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها))، قال الألباني في الضعيفة ح(٣٠٨٠) "بسند رجاله ثقات"، ثم قال: "وهذا معضل؛ فإن موسى بن يسار -وهو الأردني- يروي عن نافع مولى ابن عمر، ومكحول الشامي وطبقتهما، وقد وصله الديلمي من طريق الحاكم عن داود بن المحبر: حدثنا الهيثم بن جماز عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به، ولفظه: "إن الله لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا، وما نظر إليها منذ خلقها؛ بغضاً لها"، وهذا موضوع أيضاً آفته داود بن المحبر؛ فإنه متهم بالوضع، أو شيخه الهيثم بن جماز؛ فإنه متهم بالكذب"، وعزاه السيوطي في الفتح الكبير (٣١٩/١) إلى الحاكم في التاريخ عن أبي هريرة.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد ح(٤٥٤)، عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبي ﷺ فقال: ((إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله! فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبكِ إن أَمَنَّ الناسِ عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يَبْقَيَّن في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر)).

(٤) في (ع): [وكره].

(٥) في (ع): [أبغضه].

(٦) في الأصل و(ع): [اختياراً]، والصواب ما أثبته من (ش)، وكذا عند أبي نعيم.

(٧) في (ش): [اعتزازاً].

(٨) في (ش): [يظنّ].

(٩) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام ح(٢٠٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة -قال أسامة: وأنا أشك- على حجر فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة -وهو زوج أم سليم

أيضا: "إن قوماً أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب/(٢)، فأهينوها فأهنأ ما تكون إذا أهنتموها"(٣).

وهذا باب واسع(٤)، وأهل الدنيا وعشاقها أعلم بما يقاسونه من العذاب وأنواع الألم في طلبها، ولما كانت هي أكبر هَمِّ من لا يؤمن بالآخرة ولا يرجو لقاء ربه؛ كان عذابه بها بحسب حرصه عليها وشدة(٥) اجتهاده في طلبها، وإذا أردت أن تعرف عذاب أهلها بها(٦) فتأمل حال عاشق(٧) فانٍ في حب معشوقه؛ وكلما رام قرباً من معشوقه نأى(٨) عنه، ولا يفي له ويهجره ويصل عدوه، فهو مع معشوقه في أنكد عيش، يختار الموت دونه، فمعشوقه قليل الوفاء، كثير الجفاء، كثير الشركاء، سريع الاستحالة، عظيم الخيانة(٩)، كثير التلون(١٠)، لا يأمن عاشقه معه على نفسه، ولا على ماله، مع أنه لا صبر له عنه، ولا

بنت ملحان- فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقالوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قل عنهم، ثم ذكر سائر الحديث بقصته))، وفي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه ح(١٤٢٥٨) قال: ((لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع))، قال الأرنؤوط في تحقيق المسند (١٢٩/٢٢): "إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيمن المكي والد عبد الواحد، فمن رجال البخاري".

(١) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٤٣/٣)، والآجري في أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز (٧٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٤/٢) (٣١٣/٦)، وانظر القصة في: إحياء علوم الدين (٢١١/٣)، ونهاية الأرب (٢٤٦/٥)، وعدة الصابرين (١٩٢).

(٢) (١٨/ب).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٤٨٩)، وانظر: عدة الصابرين (١٩٣).

(٤) سقط قوله: [وهذا باب واسع] من (ع).

(٥) في (ع): [وبقدر].

(٦) سقط قوله: [بها] من (ش).

(٧) في (ش): [العاشق].

(٨) في (ع): [يأبى].

(٩) في (ع): [الجناية].

(١٠) في (ش): [التلوان].

يجد[١] سبيلاً إلى سلوة تريحه، ولا وصال يدوم له، فلو لم يكن لهذا العاشق عذاب إلا هذا العاجل لكفى به، فكيف إذا حيل بينه وبين لذاته كلها، وصار معذباً بنفس ما كان ملتذاً به؛ على قدر لذته به التي شغلته عن سعيه في طلب زاده ومصالح معاده.

وسنعود إلى تمام[٢] الكلام في هذا الباب في باب ذكر علاج مرض القلب بحب الدنيا إن شاء الله، إذ المقصود بيان أن من أحبَّ شيئاً سوى الله تعالى و لم تكن[٣] محبته له لله ولا لكونه معينا له على طاعة الله[٤] عذب به في الدنيا قبل اللقاء، كما قيل[٥]:

أنــــتَ القتيـــلُ بكـــلِّ مَـــنْ أحببتَـــهُ فـاخْتر لنفسـكَ في الهَـوى مـن تَصْـطَفِي

فإذا كان يوم المعاد ولىَّ الحكمُ العدلُ سبحانه كلَّ محبٍّ ما كان يحبه في الدنيا، فكان معه إما منعماً أو معذباً، ولهذا يُمثَّل لمحب[٦] المال ماله شجاعاً أقرع[٧]، يأخذ بِلِهْزِمَتيه[٨] يقول: أنا مالك، أنا كنزك[٩]، ويصفح له صفائح من نارٍ يكوى بها جبينه و[جنبه][١]

---

(١) في (ع) زيادة: [عنه].

(٢) في (ش) زيادة: [هذا].

(٣) في (ع): [يكن].

(٤) في (ع): [طاعته].

(٥) البيت من الكامل لابن الفارض كما في ديوانه (٩٠)، وفيه (بأي من أحببته) بدل (بكل من أحببته).

(٦) سقط قوله: [لمحب] من (ع).

(٧) هي الحية التي اجتمع السم في رأسها فتمعط شعرها فقرعت [انظر: غريب الحديث (١/١٢٢) لأبي عبيد، وغريب الحديث (٣/١٠٢٠) للحربي، وتهذيب اللغة (١/١٥٤)]

(٨) أي: شدقيه، وجمعها لهازم، وقال الخليل: هما مضيغتان في أصل الحنك، وقيل: عند منحنى اللحيين أسفل من الأذنين، وقيل: بين الماضغ والأذن، قال القاضي عياض: "وذا متقارب كله"، وفي النهاية: "هما عظمان ناتئان تحت الأذنين، وقيل: هما مضغتان عليتان تحتهما" [انظر: مشارق الأنوار (١/٣٦٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٨١)، ولسان العرب (١٢/٥٥٦)].

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة ح(١٣٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه -يعني شدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية [سورة آل عمران:١٨٠]، ومسلم في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة ح(٩٨٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال ((ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته، إلا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع، يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه،

وظهره(٢)، وكذلك عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله جمع بينهما في النار، وعذب كل منهما بصاحبه، قال الله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف:٦٧]، وأخبر سبحانه أن الذين توادوا في الدنيا على الشرك(٣) يكفر بعضهم ببعض يوم القيامة، ويلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار وما لهم من ناصرين(٤)، فالمحب مع محبوبه دنيا وأخرى، ولهذا يقول الله تعالى يوم القيامة للخلق: ((أليس عدلاً مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولى في دار الدنيا))(٥) وقال ﷺ/(١) ((المرء مع

فجعل يقضمها كما يقضم الفحل)).

(١) في الأصل: [وجنبيه]، والصواب ما أثبته من النسختين، متابعة للفظ الحديث عند الإمام مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة ح (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها؛ إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)).

(٣) الشرك في اللغة: مصدر يدل على مقارنة وعدم انفراد، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، وفي الاصطلاح: أن يُعدل بالله تعالى أحد من مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده لفظًا أو قصدًا أو اعتقادًا [انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/٣)، والاستقامة (٣٤٤/١)، وإعلام الموقعين (٣٨٨/١)].

(٤) قال تعالى ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت:٢٥].

(٥) أخرجه مرفوعاً **من حديث ابن مسعود** ــ ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ح(٣١)، وعبدالله بن أحمد في السنة ح(١٢٠٣)، والطبراني في الكبير ح(٩٧٦٣) (٩٧٦٤)، والدارقطني في رؤية الله ح(١٧٨)، والحاكم في المستدرك ح(٨٧٥١)، والعلو ح(٢٢١) للذهبي، قال الحاكم: "رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، غير أنهما لم يخرجا أبا خالد الدالاني في الصحيحين؛ لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأما الأئمة المتقدمون فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والإتقان، والحديث صحيح و لم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة"، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢١٣/٤) "رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح، واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد"، وقال ابن القيم في حادي الأرواح (٢١٢) "هذا حديث كبير حسن، رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/١٠) "رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة"، كما أخرجه **موقوفاً على عبدالله بن مسعود** ــ المروزي في تعظيم قدر الصلاة

من أحب))(٢) وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩] وقال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [سورة الصافات:٢٢-٢٥] قال عمر بن الخطاب(٣) رضي الله عنه: أزواجهم: "أشباههم ونظراؤهم"(٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [سورة

ح(٢٧٩) (٢٨٠)، والطبري في تفسيره (٣٩/٢٩، ٤٠) (٩٣/٣٠)، والدارقطني في رؤية الله ح(١٧٧)(١٧٩)، كما أخرجه الطبراني في الأوسط ح(٨١) عن **أبي موسى الأشعري** ـ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/١٠) "رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه فرات بن السائب وهو ضعيف".

(١) (١٩/أ).

(٢) أخرجه من **حديث عبدالله بن مسعود** ـ البخاري في كتاب الأدب، باب علامة حب في الله عز وجل ح(٥٨١٦) (٥٨١٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب ح(٢٦٤٠)، وأخرجه من **حديث أبي موسى الأشعري** ـ البخاري في كتاب الأدب، باب علامة حب في الله عز وجل ح(٥٨١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب ح(٢٦٤٠).

(٣) الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح أبو حفص القرشي، الفاروق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد سنة (٤٠) قبل الهجرة، كان أحد السابقين إلى الإسلام، حيث أسلم بمكة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فأعز الله الإسلام به، وهاجر إلى المدينة وشهد مع النبي ﷺ المشاهد، بويع بالخلافة سنة (١٣)هـ، بعهد من أبي بكر رضي الله عنه، فتح في عهده العراق الشام وبيت المقدس ومصر، طعنة أبو لؤلؤة المجوسي في صلاة الفجر، فتوفي من أثر الطعنة بعد ثلاث ليال سنة (٢٣)هـ.[انظر: الطبقات الكبرى (٢٦٥/٣)، والطبقات (٢٢) لابن خياط، والتاريخ الكبير (١٣٨/٦)].

(٤) اختلف الألفاظ الواردة عن عمر رضي الله عنه في تفسير المراد بالأزواج في هذه الآية وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [سورة التكوير:٧] ومؤداها واحد، وهو أن المراد بالأزواج الأمثال والأشباه والنظراء، ومما ورد ما رواه أحمد بن منيع في مسنده كما في المطالب العالية (١٤٧/١٥) بسنده عن عمر رضي الله عنه في قوله عز وجل ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قال: "وأشباههم"، وروى أيضاً كما في المطالب (٤٢٧/١٥) بسنده عن الشعبي قال: سمعت عمر رضي الله عنه -وهو على المنبر- وهو يقول: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: "تزويجها أن يؤلَّف كل قوم إلى شبههم"، والشعبي لم يسمع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرج الحاكم في المستدرك برقم

التكوير:٧] فقرن كل شكل إلى شكله، وجعل معه قريناً وزوجاً، البَرُّ مع البَرِّ، والفاجر مع الفاجر.

(٣٦٠٩) بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ في قوله تعالى ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: "أمثالهم الذين هم مثلهم" قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨٣/٧) إلى عبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث، وزاد: "يجيء أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر"، وأخرج الطبري (٤٦/٢٣)، والثعلبي (١٤١/٨) عن عمر بن الخطاب ﷺ ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: "ضُرَبَاءَهُم"، وبيّنه ما أخرجه الطبري (٦٩/٣٠) وابن أبي حاتم (٣٤٠٦/١٠) والثعلبي (١٣٨/١٠) عن عمر ﷺ قال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ قال: "الضُّرَباء، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك أن الله يقول ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [سورة الواقعة:٧-١٠] قال: هم الضُّرَباء"، وأخرج مجاهد في تفسيره (٥٤٠/٢) والصنعاني (٣٥١/٣) وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٤٤٩٢) والطبري (٦٩/٣٠)، والثعلبي (١٣٨/١٠)، وأبو نعيم في صفة الجنة برقم(٢٩٦)، عن عمر ﷺ في قوله ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: "الصالح مع الصالح، والطالح مع الطالح"، وأخرج الصنعاني في تفسيره (٣٥٠/٣)، وأبو داود في الزهد برقم (٦٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٩٠٢)، والطبري (٦٩/٣٠) عن عمر يقول: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ قال: "هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة أو النار"، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وأخرج البخاري (١٨٨٣/٤) تعليقاً بصيغة الجزم، ووصله ابن حجر في التغليق (٣٦١/٤) مسنداً من طريق عبد بن حميد والحاكم وأبو نعيم في الحلية وبن مردويه، كما أخرجه أبو داود في الزهد برقم (٦٣)، والطبري (٦٩/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٠٦/١٠) أن عمر ﷺ قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؟ فسكتوا، قال: "ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار"، ثم قرأ ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾، كما أخرج الطبري (٦٩/٣٠) عن النعمان بن بشير قال: سمعت عمر بن الخطاب -وهو يخطب- قال: "﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة الواقعة:٧-١١] ثم قال: وإذا النفوس زوجت قال أزواج في الجنة، وأزواج في النار"، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦٣/٧) "وهذا ثابت عن عمر وروى ذلك عنه مرفوعاً"، وقال ابن حجر في الفتح (٦٩٤/٨): "وهذا إسناد متصل صحيح".

والمقصود: أن من أحب شيئاً سوى الله فالضرر حاصل له بمحبوبه، إن وُجِد وإن فُقِد، فإنه إن فقده عُذِّب بفواته، وتألم على قدر تعلق قلبه به، وإن وجده فإن[١] ما يحصل له من الألم قبل حصوله؛ ومن النكد في حال حصوله؛ ومن الحسرة عليه بعد فوته؛ أضعاف أضعاف ما في حصوله له من اللذة[٢]:

فما في الأرضِ أشقى مِنْ مُحِبٍّ ... وإن وجدَ الهَوى حُلْوَ المذاقِ
تراه باكياً في كلِّ حالٍ ... مخافةَ فُرْقَةٍ أو لاشتياقِ
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا حَذَرَ[٣] الفراقِ
فتسخنُ عينُه عند التلاقي ... وتسخنُ عينُه عندَ الفراقِ

وهذا أمر معلوم بالاستقراء والاعتبار والتجارب، ولهذا قال النبيﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه))[٤] فذكر الله[١]

---

(١) في النسختين: [كان].

(٢) الأبيات من الوافر اختلف في قائلها، فقيل هو ابن دريد كما في اللآلي في شرح أمالي القالي (٩٨/٣)، وقيل هو نُصيب بن محجن مولى راشد بن عبد العزى من كنانة، المتوفى سنة (١١٣)هـ كما في تزيين الأسواق في أخبار العشاق (٢٢٥/١)، وقيل هو ورد الجعدي كما في شرح ديوان الحماسة (١٣٣٩/٢) للمرزوقي.

(٣) في (ش): [خوف].

(٤) أخرجه من **حديث أبي هريرة** ــ الترمذي في كتاب الزهد عن رسول اللهﷺ، باب منه ح(٢٣٢٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب مثل الدنيا ح(٤١١٢)، وابن أبي عاصم في الزهد ح(١٢٦)، والبيهقي في الشعب ح(١٧٠٨)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه ابن القيم في عدة الصابرين (١٤٠)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣٨/٢): "إسناده جيد"، وحسنه الألباني في الصحيحة ح(٢٧٩٧)، وقد انقلب إسناد هذا الحديث على المغيرة بن المطرف فرواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كما وقع عند البزار ح(١٧٣٦)، والطبراني في الأوسط ح(٤٠٧٢) قال البزار: "ولا نعلم أحداً تابع المغيرة بن المطرف على هذه الرواية"، وقال الطبراني:" لم يرو هذا الحديث عن بن ثوبان عن عبدة إلا أبو مطرف، تفرد به بشر بن معاذ، ورواه غيره عن بن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة"، وقال الدارقطني في العلل (٨٩/٥): "وهذا إسناد مقلوب، وإنما رواه بن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبدالله بن ضمرة عن أبي هريرة وهو الصحيح"، **وله شاهد عن أبي الدرداء** ــ **مرفوعاً** بلفظ: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجه الله)) عند ابن أبي عاصم في الزهد ح(١٢٧)، والطبراني في مسند الشاميين ح(٦١٢)، والأكثر رواه موقوفاً، كابن المبارك في الزهد برقم (٥٤٣) وأبي داود في الزهد برقم(٢٢٢) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٨٠/٣) وغيرها، وله

جميع أنواع طاعته، فكل من كان في طاعته فهو ذاكره، وإن لم يتحرك لسانه بالذكر، وكل من[٢] والاه الله فقد أحبه وقربه، فاللعنة لا تنال ذلك بوجه، وهي نائلة كل ما عداه.

الوجه السابع[٣]: أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولابد، عكس ما أمله منه، ولابد أن يخذل من الجهة التي قدر أن ينصر منها، ويذم من حيث قدر أن يحمد، وهذا أيضاً كما أنه ثابت بالقرآن والسنة؛ فهو معلوم بالاستقراء والتجارب، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم:٨١-٨٢] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [سورة يس:٧٤-٧٥] أي يغضبون لهم ويُحاربون[٤]، كما [يغضب][١]

شاهد من رواية محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً بلفظ: ((الدنيا ملعونة ملعون ما كان فيها إلا ما كان من ذكر الله)) أخرجه ابن درهم في الزهد وصفة الزاهدين ح(٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٧/٣)، والبيهقي في الشعب ح(١٠٥١٢)، وقد سأل ابن أبي حاتم في العلل (١٢٤/٢) أباه عن هذا الحديث فقال: "هذا خطأ إنما هو محمد بن المنكدر أن النبي ﷺ"، قال أبو نعيم في الحلية: "غريب من حديث محمد والثوري، تفرد به عبدالله بن الجراح"، فيكون الصواب إرساله كما وقع في الزهد للإمام أحمد (٢٨)، ومراسيل أبي داود ح(٥٠٢)، وذم الدنيا لابن أبي الدنيا ح(٧) وغيرها.

(١) في النسختين: [فذكره].

(٢) في (ش): [ما].

(٣) هذا هو الوجه الخامس عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٩/١).

(٤) هذا أحد الوجهين في تفسير الآية وأن هذا يكون في الدنيا، وقد أخرجه الطبري (٢٩/٢٣) وابن أبي حاتم (٣٢٠١/١٠) عن قتادة قال: "والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام"، **والقول الثاني**: أن هذا يكون يوم القيامة، فيكون عند الحساب كما أخرجه الطبري (٢٩/٢٣) عن مجاهد قال: "عند الحساب"، وكذا وقع في تفسيره (٥٣٧/٢)، وعلقه البخاري في صحيحه (١٢٠٠/٣) (١٨٠٥/٤)، ووصله ابن حجر في التغليق (٥١٤/٣)، واختار الطبري الأول وقال: "وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حينئذ؟! ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم ويقاتلون دونهم"، كما اختاره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٩٥/٤)، والنحاس في معاني القرآن (٥١٩/٥)، والسمرقندي (١٢٥/٣)، والبغوي (٢٨/٧)، وابن جُزَيّ في التسهيل (١٦٧/٣)، وابن كثير (٥٩٣/٦) وقال:

[الجندي](٢) [ويحارب](٣) عن أصحابه، وهم لا يستطيعون نصرهم، بل هم كلٌّ عليهم (٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [سورة هود:١٠١] أي غير تخسير(٥)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٢١٣]، وقال: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [سورة الإسراء:٢٢]، فإن المشرك يرجو بشركه النصر تارة، والحمد والثناء تارة، فأخبر سبحانه أن مقصوده ينعكس عليه، ويحصل له الخذلان والذم(٦)، والمقصود: أن هذين الوجهين في

"وهذا القول حسن".

(١) في الأصل: [تغضب]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل و(ش): [الجند]، والصواب ما أثبته من (ع)، لدلالة ما بعدها وهي قوله: [عن أصحابه].

(٣) في الأصل و(ش): [وتحارب]، والصواب ما أثبته من (ع)، لدلالة ما قبلها وهي قوله: [يغضب].

(٤) في (ع) زيادة آية [سورة مريم ٨١-٨٢] المذكورة قريباً، فيبدو أن الناسخ كررها.

(٥) وهذا المأثور عن أكثر السلف كابن عمر رضي الله عنه كما عند الطبري (١١٣/١٢)، ومجاهد كما في تفسيره (٣٠٨/١) وفي الطبري (١١٣/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٨٣/٦)، وقتادة كما عند الصنعاني (٣١٢/٢) والطبري (١١٣/١٢)، ومقاتل كما في تفسيره (١٣١/٢)، والثوري كما في تفسيره (١٣٣) وغيرهم، وبه قال أهل اللغة كالأزهري في تهذيب اللغة (١٨٢/١٤)، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٣٤١/١)، كقوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة المسد:١]، واختاره من المفسرين ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٢٠٩)، والسمرقندي (١٧٠/٢)، وابن أبي زمنين (٣٠٨/٢)، والثعلبي (١٨٨/٥)، والسمعاني (٤٥٧/٢) وغيرهم، وقد فسرها قتادة فيما أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠٨٣/٦) بالهلكة، وفسرها عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠٨٣/٦) بالشر، ولا شك أن الخسران يؤدي إلى الشر والهلاك.

(٦) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٤٥٨/١): "فأعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت، وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان كما قال تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [سورة الإسراء:٢٢] مذموما لا حامد لك، مخذولا لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهورًا محمودًا؛ كالذي قُهر بباطل، وقد يكون مذمومًا منصورًا؛ كالذي قَهر وتسلط عليه بباطل، وقد يكون محمودًا منصورًا؛ كالذي تمكن وملك بحق، والمشرك المتعلق بغير الله قسمه أردأ الأقسام الأربعة؛ لا محمود ولا منصور"، وقد ذكر ابن القيم خمسة مواضع من كتاب الله تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا يتعزز به، ويتكثر به،

المخلوق ضدهما[١] في الخالق، فصلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله[٢] والاستعانة به، وهلاكه وشقاؤه[٣] وضرره العاجل والآجل في عبادة المخلوق والاستعانة به.

الوجه الثامن[٤]: أن الله سبحانه غني كريم عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة؛ بل رحمة منه وإحساناً، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتعزز[٥] بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات:٥٦-٥٨] وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾[٦] [سورة الإسراء:١١١] فهو سبحانه لا يوالى من يواليه من الذل كما يوالى المخلوقُ المخلوقَ، وإنما يوالي أولياءه إحساناً ورحمة ومحبة لهم، وأما العباد فإنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [سورة محمد:٣٨] فهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك، وانتفاعه به عاجلاً وآجلاً، ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو[٧] في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه[٨]،

ويستنصر به، لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وذكر في إعلام الموقعين (١/١٥٤) موضعًا آخر، ووصفه بأنه أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده، وهو قوله تعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤١].

(١) في (ش): [ضدها].

(٢) في حاشية (ع): [مولاه]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [الله] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٣) في (ع): [شقاوته].

(٤) هذا هو الوجه السادس عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/٢٩).

(٥) في (ع): [لينتصر].

(٦) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾].

(٧) سقط قوله: [فهو] من (ع).

(٨) في (ش): [لنفسه].

وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقاً/(١) إلى وصول(٢) نفع ذلك الإحسان إليه، فإنه إما أن يحسن إليه(٣) لتوقع(٤) جزائه في العاجل، فهو محتاج إلى ذلك الجزاء ومعاوض(٥) بإحسانه، أو لتوقع حمده وشكره، فهو أيضاً إنما أحسن إليه ليحصل له منه ما هو محتاج إليه من الثناء والمدح، فهو محسن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير، وإما أن يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو أيضاً(٦) محسن إلى نفسه بذلك، وإنما أخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته، وهو غير ملوم في هذا القصد، فإنه فقير محتاج، وفقره وحاجته أمر لازم له من لوازم ذاته، فكماله أن يحرص على ما ينفعه ولا(٧) يعجز عنه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء:٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٨) [سورة البقرة:٢٧٢] وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله ﷺ ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني(٩)، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))(١٠) فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد انتفاعه بك، والرب تعالى إنما يريد نفعك لا لانتفاعه(١١) بك، و(١٢) ذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة،

---

(١) (٢٠/أ).

(٢) في (ش): [حصول]، ومنها سقط الكلمة بعدها وهي قوله: [نفع].

(٣) سقط قوله: [إليه] من (ش).

(٤) في (ش): [ليتوقع].

(٥) في (ع): [ومعاوضة].

(٦) سقط قوله: [أيضاً] من (ش).

(٧) في (ش): [ولم].

(٨) الآية في (ش) إلى قوله سبحانه: [﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾].

(٩) في (ش): [لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني] بالتقديم والتأخير، واللفظ هكذا في صحيح مسلم.

(١٠) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ح(٢٥٧٧).

(١١) في (ش): [انتفاعه].

(١٢) في (ع): [بل].

بخلاف إرادة المخلوق نفعك؛ فإنه قد يكون فيه مضرة عليك ولو بتحمل منّته، فتدبر هذا فإن ملاحظته تمنعك أن ترجو المخلوق، أو تعامله دون الله، أو تطلب منه نفعاً أو دفعاً، أو تعلق(١) قلبك به، فإنه إنما يريد انتفاعه بك، لا محض نفعك، وهذا حال الخلق كلهم بعضهم مع(٢) بعض، وهو حال الولد مع والده، والزوج مع زوجه(٣)، والمملوك مع سيده، والشريك مع شريكه، فالسعيد من عاملهم لله لا لهم، وأحسن إليهم لله، وخاف الله فيهم، ولم يخفهم مع الله، ورجا الله بالإحسان إليهم، ولم يرجهم مع الله، وأحبهم لحب(٤) الله، ولم يحبهم مع الله، كما قال أولياء الله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان:٩].

الوجه التاسع(٥): أن العبد(٦) لا يعلم مصلحتك حتى يعرفه الله إياها، ولا يقدر على تحصيلها لك حتى يقدره الله عليها، ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه إرادة ومشيئة، فعاد الأمر كله/(٧) لمن ابتدأ منه، وهو الذي بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، فتعلق القلب بغيره رجاء وخوفاً وتوكلاً وعبودية ضرر محض لا منفعة فيه، وما يحصل بذلك من المنفعة فهو وحده(٨) الذي قدّرها ويسّرها(٩) وأوصلها إليك.

الوجه العاشر(١٠): أن غالب الخلق إنما يريدون قضاء حاجاتهم بك(١١)، وإن أضر ذلك بدينك ودنياك، فهم إنما غرضهم قضاء حوائجهم ولو بمضرتك، والرب تبارك وتعالى

---

(١) في (ش): [يغلق].
(٢) في (ش): [من].
(٣) في (ع): [زوجته].
(٤) في النسختين: [بحب].
(٥) جاء هذا التقرير في فصل لاحق عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/٣٣، ٤٠).
(٦) في (ع) زيادة: [المخلوق].
(٧) (٢٠/ب).
(٨) في (ع) زيادة: [هو].
(٩) في (ع): [سيرها].
(١٠) هذا هو الوجه السابع عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/٣١)، وعدد الأوجه عنده تسعة.
(١١) في (ع): [منك]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [بك] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

إنما يريدك لك، ويريد الإحسان إليك لك لا لمنفعته، ويريد دفع الضرر عنك، فكيف تعلق أملك ورجاءك وخوفك بغيره؟.

وجماع هذا أن تعلم(١): أن الخلق لو اجتمعوا كلهم(٢) على أن ينفعوك بشيء(٣) لم ينفعوك إلا بشيء قد(٤) كتبه الله لك، ولو اجتمعوا كلهم على أن يضروك بشيء(٥) لم يضروك إلا بشيء قد(٦) كتبه الله عليك(٧)، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة:٥١].

خاتمة لهذا الباب(٨)

لما كان الإنسان -بل وكل حي متحرك(١) بالإرادة- لا ينفك عن علم وإرادة وعمل

---

(١) هذا هو الوجه التاسع والأخير عند شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣١/١).

(٢) في (ع): [كلهم لو اجتمعوا] بالتقديم والتأخير.

(٣) سقط قوله: [بشيء] من (ش).

(٤) سقط قوله: [قد] من (ش).

(٥) سقط قوله: [بشيء] من (ش).

(٦) سقط قوله: [قد] من (ش).

(٧) أخرج الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ح(٢٥١٦)، والإمام أحمد في المسند ح(٢٦٦٩) من حديث ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٨٥) "روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة، من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن عبدالله، وعمر مولى غفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي، كذا قال ابن مندة وغيره، وقد روي عن النبي ﷺ أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث على بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف، وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة"، وانظر كلام ابن مندة في التوحيد (١٠٧/٢)، وكلام العقيلي في الضعفاء (٥٣/٣، ٣٩٧) (٤٢٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٧٩٥٧).

(٨) هذه الخاتمة جاءت في فصل بعد الأوجه التسعة في مجموع الفتاوى (٣٤/١).

بتلك الإرادة، وله مراد مطلوب، وطريق وسبب يوصل[٢] إليه يعين[٣] عليه، وتارة يكون السبب منه، وتارة من خارج منفصل عنه، وتارة منه ومن الخارج، فصار الحي مجبولاً على أن يقصد شيئاً ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في حصول مراده.

والمراد قسمان [٤]:

أحدهما: ما هو مراد لنفسه[٥].

والثاني: ما هو مراد لغيره.

والمستعان قسمان:

أحدهما: ما هو مستعان بنفسه.

والثاني: ما هو[٦] تبع له وآلة.

فهذه أربعة أمور: مراد لنفسه، ومراد لغيره، ومستعان بنفسه، ومستعان بكونه آلة وتبعاً للمستعان بنفسه.

فلابد للقلب من مطلوب يطمئن إليه وتنتهي إليه[٧] محبته، ولابد[٨] من شيء يتوصل به ويستعين به[٩] في حصول مطلوبه، والمستعان مدعو ومسئول، و[العبادة][١٠] والاستعانة كثيراً ما يتلازمان، فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه خضع له وذلَّ له وانقاد

---

(١) في (ش): [يتحرك].

(٢) في النسختين: [موصل].

(٣) في النسختين: [معين].

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٦/٣٧-٣٨)، ومدارج السالكين (٢/١٩٣)، وروضة المحبين (٥٥، ١٥٥)، والجواب الكافي (١٣٧).

(٥) في (ش): [مستعان بنفسه].

(٦) سقط قوله: [ما هو مراد لغيره، والمستعان قسمان: أحدهما: ما هو مستعان بنفسه، والثاني: ما هو] من (ش).

(٧) في (ش): [وينتهي إليه].

(٨) في النسختين زيادة: [له].

(٩) في (ع): [يستعين به ويتوصل به] بالتقديم والتأخير.

(١٠) في الأصل: [والعياذة]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة سياق الكلام، والعبادة هي التي تقترن بالاستعانة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥].

وأحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب(١) عليه حكم الحال حتى يحبه لذاته/(٢) وينسى مقصوده منه، وأما من أحبه القلب وأراده وقصده فقد لا يستعين به ويستعين بغيره عليه، كمن أحب مالاً أو منصباً أو امرأة، فإن عَلِمَ أن محبوبَهُ قادرٌ على تحصيل غرضه؛ [استعان](٣) به، فاجتمع له محبته و[الاستعانة](٤) به.

فالأقسام أربعة:

محبوب لنفسه وذاته مستعان بنفسه، فهذا أعلى الأقسام، وليس ذلك إلا الله وحده، وكلما سواه فإنما ينبغي أن يحب تبعاً لمحبته، ويستعان به لكونه آلة وسبباً(٥).

الثاني: محبوب لغيره ومستعان به أيضاً، كالمحبوب الذي هو قادر على تحصيل غرض [مُحِبْه](٦).

الثالث: محبوب مستعان عليه بغيره.

الرابع: مستعان به غير محبوب في نفسه.

---

(١) في (ش): [تغلب].

(٢) (٢١/أ).

(٣) في الأصل: [استعاذ]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة سياق الكلام، فتحصيل الغرض يكون بالاستعانة لا بالاستعاذة.

(٤) في الأصل: [الاسعاذة]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة سياق الكلام، من أوله كان عن الاستعانة.

(٥) قال شيخ الإسلام في درء التعارض (٤٦٥/٨) "والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه، فيمتنع أن تكون جميع المرادات مرادات لغيرها، فإن هذا تسلسل في العلل الغائية، وهو ممتنع كامتناع التسلسل في العلل الفاعلية بل أولى، وإذا كان لابد للإنسان من مراد لنفسه؛ فهذا هو الإله الذي يألهه القلب، فإذن لابد لكل عبد من إله، فعلم أن العبد مفطور على أن يحب إلهه، ومن الممتنع أن يكون مفطوراً على أن يأله غير الله لوجوه: **منها**: أن هذا خلاف الواقع، **ومنها**: أنه ليس هذا المخلوق، بأن يكون إلهاً لكل الخلق، بأولى من هذا، **ومنها**: أن المشركين لم يتفقوا على إله واحد، بل عبد كل قوم ما استحسنوه، **ومنها**: أن ذلك المخلوق إن كان ميتا فالحي أكمل من الميت، فيمتنع أن يكون الناس مفطورينَ على عبادة ميت، وإن كان حياً فهو أيضاً مريد فله إله يألهه، فلو كان هذا يأله هذا، وهذا يأله هذا، لزم الدور الممتنع، أو التسلسل الممتنع، فلا بد لهم كلهم من إله يألهونه"، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨٣/٢٠)، ومنهاج السنة (٣٣٢/٣)، وجامع الرسائل (٢٠٠/٢).

(٦) في الأصل: [محبته]، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة سياق الكلام، ومنه قوله -قبل ذلك-: [فإن عَلِمَ أن محبوبه قادر على تحصيل غرضه؛ استعان به].

فإذا عرف ذلك تبين من أحق هذه الأقسام الأربعة بالعبودية والاستعانة، وأن محبة غيره واستعانته إن لم تكن وسيلة إلى محبته واستعانته؛ وإلا كانت مضرة على العبد، ومفسدتها أعظم من مصلحتها، والله المستعان وعليه التكلان.